الرابطة

السنة 60 العدد: 694 ذو القعدة 1445هـ

* رئيس وزراء اليونان يستقبل د.العيسى

* جامعة «مالايا» تمنح د. العيسى درجة الدكتوراه الفخرية

بوقفة تضامنية مع شهداء غزة..

انطلاق المؤتمر الدولي للقادة الدينيين في ماليزيا

مجلس علماء آسيان

بعد نداءاتٍ متكررة واجتماعات تحضيرية متوالية امتدّت لعامين متتاليين منذ انعقاد مؤتمر علماء جنوب شرق آسيا عام ٢٠٢٢، والذي عقد في كوالالمبور، دشَّنت رابطة العالم الإسلامي (مجلس علماء آسيان).

وتعد هذه الخطوة اللافتة التي أتت ضمن أعمال المؤتمر الدولي للقادة الدينيين الذي عقد في ماليزيا منتصف هذا الشهر، خطوة مهمة جداً في طريق توحيد كلمة علماء تلك المناطق الآسيوية، ولم شتاتهم، وجمع صفوفهم، للعمل على حل مشكلاتهم، وقضاياهم الإسلامية العالقة، وفي طليعتها التصدي للحملات المغرضة التي تستهدف دين الإسلام إما عن جهل أو عمد.

ورأى العديد من المتابعين للمؤتمر العالمي الذي ضم نحو ألفي شخصية دينية وفكرية مثلوا (٥٧) دولة، أن هذه القفزة النوعية في العمل الإسلامي المشترك بإنشاء «مجلس علماء آسيان»، ربما كانت أولى ثمار مؤتمر «بناء الجسور» الذي عقد بمكة المكرمة خلال شهر رمضان الفائت. ولعل الهدف لا يقف عند بناء الجسور بل العمل على جعل هذا المجلس منصة مهمة تأوي إليها أفئدة كل الطامحين إلى لمّ الشتات، ونبذ الفرقة، وحل المشكلات الإسلامية العالقة الكبرى.

وشهد المؤتمر الدولي للقادة الدينيين في كوالالمبور بادرة حسنة جسَّدت روح المؤتمر وأهدافه وتمثَّلت بوقفة تضامنية مع شهداء غزة استهلّ بها المجتمعون اجتماعهم، منددين بالإبادة وبنزيف الدم الذي يراق هناك.

ولم ينسَ المؤتمر في هذا الصدد أن يوصي بتكوين لجنة عليا للمؤتمر تضمّ قادة دينيّين وخبراء ومفكرين، برئاسة مجلس الوزراء الماليزي والأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي، تتولّى تشكيل فِرَق عملٍ متخصصة تعمل على التدخل الفوري والعاجل لإيقاف الحرب في غزَّة.

وبالعودة إلى مجلس «الآسيان» فإنه يضم عشر دول تأتي في مقدمتها دول (إندونيسيا وماليزيا والفلبين وتايلند وسنغافورة وبروناي)، وبهذا يعد باكورة المجالس العلمائية الإقليمية التي عملت رابطة العالم الإسلامي على تأسيسها حول العالم.

وختامًا فإن الأنظار تتجه إلى هذا المجلس ومبادراته لتعزيز التعاون والتفاهم بين علماء آسيا، وأن يضطلع بدوره في تعزيز السلم والاستقرار في المنطقة وتعزيز التنمية الثقافية والاجتماعية، فضلاً عن دور المجلس المنتظر في تعزيز العلاقات بين شعوب الدول الأعضاء.

المحتويات

الرابطة - العدد:٦٩٤ - ذو القعدة ١٤٤٥هـ

الرابطة

شهرية - علمية - ثقافية

مساعد الأمين العام للاتصال المؤسّسي

أ. عبدالوهاب بن محمد الشهري

المدير العام لإدارة المحتوى

أ. ياسر بن صالح الغامدي

رئيس التحرير

د. عثمان أبوزيد عثمان

المستشار الإعلامي

د. أحمد بن حمد جيلان

مدير التحرير

أ. عبدالله بن خالد باموسى

٤ | انطلاق المؤتمر الدولي للقادة الدينيين في ماليزيا

١١ | جامعة «مالايا» تمنح د. العيسى الدكتوراه الفخرية

١٣ | د. العيسى يدشن مجلس علماء آسيان

١٧ | رئيس وزراء اليونان يستقبل د.العيسى

- المراسلات: مجلة الرابطة ص.ب 537 مكة المكرمة - هاتف: 00966125309387 المراسلات على عنوان المجلة باسم رئيس التحرير - البريد الإلكتروني: mwljournal@themwl.org
- الموضوعات والمقالات التي تصل إلى مجلة «الرابطة» لا ترد إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر

٢٢ | تشويه «الاختلاف الفقهي» في خطاب جماعات التطرف

٣٧ | أهمية الإسلام والعربية في نسج العلاقات التضامنية بين الدول الإفريقية

٤٢ | تكريم المرأة في الهدي النبوي

٤٤ | قلعة الوَجه في تبوك: تاريخها وأهميتها في رحلة الحج قديمًا

- للاطلاع على النسخة الإلكترونية للمجلة الرجاء زيارة موقع الرابطة على الإنترنت: www.themwl.org - طبعت بمطابع تعليم الطباعة - رقم الإيداع: 343/1425 - ردمد: 1658-1695

بوقفة تضامنية مع شهداء غزة..

انطلاق المؤتمر الدولي للقادة الدينيين في ماليزيا

كوالالمبور:

بتنظيم مشترك بين رئاسة الوزراء الماليزية ورابطة العالم الإسلامي، انطلقت في العاصمة الماليزية كوالالمبور أعمال المؤتمر الدولي للقادة الدينيين برعاية وحضور دولة رئيس وزراء ماليزيا، الداتو سري أنور بن إبراهيم، ومعالي الأمين العام للرابطة، رئيس هيئة علماء المسلمين، فضيلة الشيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى، إلى جانب حضور نحو ٢٠٠٠ شخصيةٍ دينيةٍ وفكريةٍ

من ٥٧ دولةً.

ويأتي المؤتمر في إطار جهود ماليزيا ورابطة العالم الإسلامي لتأسيس منصَّة دينية عالمية، تُعزز سبل التعاون الحضاري القائم على مشتركاتٍ جامعة، وتضع خارطةَ طريقٍ لترسيخ الوئام بين أتباع الأديان الذين يشكّلون غالبية شعوب العالم، وحلٍّ مشكلات التعايش برُؤيةٍ تضامنية، مُشبَعةٍ بروح المسؤولية.

وفي بادرة تجسِّد روح المؤتمر وأهدافه، استهلَّ المؤتمِرون أعمالَ مؤتمرهم بوقفة تضامنية مع شهداء غزة، تلا ذلك كلمة ترحيبية لمعالي الوزير في رئاسة مجلس الوزراء الماليزي، السيناتور داتو حاج محمد نعيم بن حاج مختار، أشار فيها إلى أنَّ هذا الحضور

رئيس الوزراء الماليزي: قمة كوالالمبور للقيادات الدينية ستعقد سنويًّا في ماليزيا

يدلُّ على أنَّ دولة ماليزيا وشعبها يدعمون دائمًا جميعَ المبادرات الرامية إلى تحقيق الوَحدة والوئام بين جميع أطراف شعوب العالم وأطيافه.

وأعرب عن شكره وتقديره لمعالي أمين عام رابطة العالم الإسلامي الذي تعاون مع الحكومة الماليزية لتنظيم هذا المؤتمر، لافتًا إلى أنَّ تنظيم مثل هذا

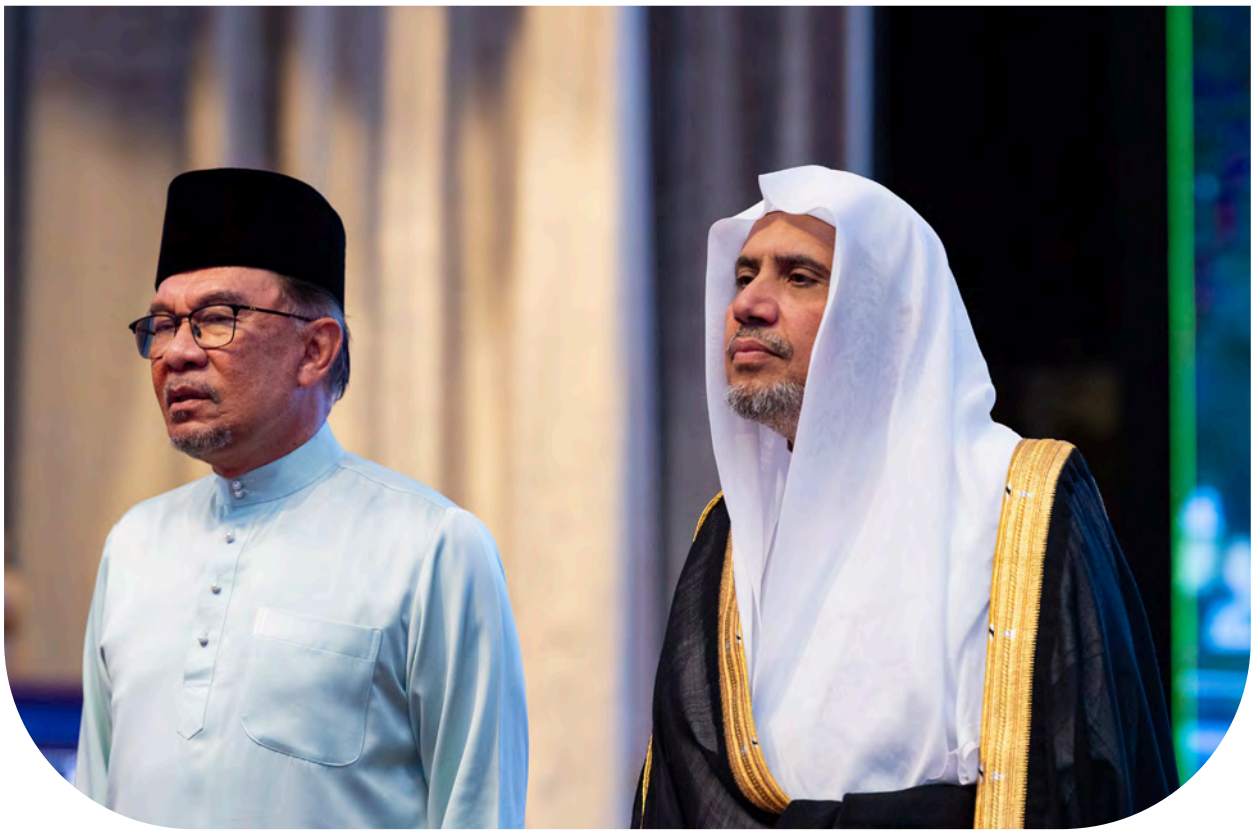

د. العيسى:
عالمنا المتنوع بحاجةٍ إلى قياداتٍ دينيةٍ لها أثر ملموس في تعزيز سلامه ووئام مجتمعاته

المؤتمر يعكس العلاقة الوثيقة بين رابطة العالم الإسلامي والحكومة الماليزية، ومشددًا على أنَّ بلاده ستعمل بكل حرص واهتمام على استمرار هذا التعاون في المستقبل.

وبالنيابة عن الحكومة الماليزية والرابطة، رحَّب الوزير بضيوف المؤتمر الذين قدموا من أكثر من ٥٧ دولةً إلى جانب ماليزيا، مؤكِّدًا أنَّ مشاركة القيادات الدينية، والسياسيين، والأكاديميين من حول العالم في هذا المؤتمر تُبرهن على أنَّ التنوعَ الدينيَّ لا يمنع من الجلوس معًا لتحقيق الوَحدة والتناغم في المجتمع.

عقب ذلك، ألقى معالي الأمين العام للرابطة، رئيس هيئة علماء المسلمين، الشيخ الدكتور محمد العيسى، الكلمة الرئيسية للمؤتمر، مؤكِّدًا فيها أنَّ المؤتمر اختار مجموعة متميزة من القيادات الدينية الفاعلة في تعزيز الوئام بين أتباع الأديان، ومواجهة أفكار التطرف، وبخاصة مخاطر الصدام الثقافي والحضاري.

وشدَّد العيسى على أنَّ عالمنا المتنوع بحاجةٍ إلى قيادات دينية لها أثرٌ ملموسٌ، تُسهِم من خلال جهودها الصادقة والفاعلة في تعزيز سلامه ووئام مجتمعاته، محذِّرًا من أنَّ هذا الوقت يمثل زمنًا حساسًا مُثقَلاً

بالمتاعب والمخاطر ولا يحتمِل أي لحظة إهمال أو تقصير.

وبصفته أميناً عاماً لرابطة العالم الإسلامي، استعرض الشيخ العيسى موقف الإسلام في هذا الصدد، مؤكِّدًا في الوقت ذاته أنَّ الإسلامَ لا يُمثِّله إلا من يعمل بتعاليمه، وليس فيه أحدٌ معصومٌ إلا نبيَّ الإسلام، وأن الأخطاء الصادرة عن بعض المحسوبين على الإسلام تُمثِّلهم وحدهم ولا تُمثِّل الإسلام.

واستعرض د. العيسى جانباً من جهود الرابطة ومؤتمراتها الدولية في تعزيز الحوار والوئام بين أتباع الأديان، مؤكِّدًا أنَّ الرابطة خطت خطوات مهمة تتعلق بتعزيز الوئام بين أتباع الأديان، وذلك من خلال بناء الجسور بين الحضارات لتعزيز تفاهمها وتعاونها لتحقيق صالحها المشترك، مشيراً

د. العيسى:
الإسلام لا يُمثِّله إلا من يعمل بتعاليمه.. والأخطاء الصادرة عن بعض المحسوبين عليه تمثِّلهم وحدهم

إلى أنَّ أكثر الحضارات الحية ذات جذور دينية، مؤكداً أن ذلك التفاهم والتعاون لا يمس الهوية الدينية، فلكلٍّ دينُه وثقافته وحضارته، مشدداً في ذات السياق على خطورة ازدراء أتباع الأديان والنيل من مقدساتهم.

وحذَّر د.العيسى من التراجع الذي يشهده العالم في سُلَّم القيم وفي سُلَّم عزيمته الدولية، مضيفًا «ولنا في حرب غزّة الدامية أكبر شاهد على فشل المجتمع

الدولي في إيقاف نزيف الإبادة هناك»، مؤكِّدًا، في هذا الخصوص، على تقدير الجهود الكبيرة والمتواصلة التي تقوم بها الدول العربية والإسلامية بقيادة المملكة العربية السعودية، وذلك بصوتها الصادق والقوي من خلال عدة قمم، وعدة اجتماعات فضلاً عن الحضور الدولي المؤثر.

وفي ختام كلمته عبّر عن الشكر الجزيل لدولة رئيس الوزراء الماليزي على الرعاية والحضور والدعم لإنجاح هذا المؤتمر الدولي المهم.

بدوره، ألقى دولة رئيس وزراء ماليزيا، الداتو سري أنور بن إبراهيم كلمةً أكد فيها أنَّ المؤتمر يمثل فرصةً مهمة للقادة الدينيين ليأخذوا بزمام الأمور ويقدّموا النصائح، سواءً على الجانب الاجتماعي أو الديني، مشدِّدًا على أنها لمسؤولية عظيمة، وأمانة حقيقية.

وحذَّر رئيسُ الوزراء الماليزي من الادعاءات الثقافية حول الصدام الحضاري والسياسي والتي تعمل على تقسيم البشرية، مبيِّناً أنَّ الناس سئموا من غياب العدالة، مضيفاً «فلندع القادة الدينيين يأخذون مكانهم الذي يستحقونه، وليكونوا أكثر تأثيراً وفاعلية».

وقال دولته: «مع الأحداث المؤسفة في غزة، هنا فرصة للقادة الدينيين ليأخذوا بزمام الأمور، ويقدّموا النصح، وإنها لمسؤولية عظيمة، وأمانة حقيقية»، مستطرِداً «إن

لم نفعل شيئاً مؤثراً وفاعلاً من أجل مبادئنا وللإيفاء بالقوانين الإنسانية بالتعايش والتعاطف، فأين الدين فينا؟ وإن لم نسعَ للعدل والإحسان، فما قيمة إيماننا بأديانا؟».

واستجابةً لمقترح معالي الأمين العام للرابطة بخصوص اعتماد هذا المؤتمر ليكون قمةً سنويةً تحت مسمى «قمة كوالالمبور للقادة الدينيين»، أكَّد رئيس الوزراء الماليزي ترحيبه بالفكرة وتقديره لها، واعتماده المؤتمر قمة سنوية تستضيفها كوالالمبور، مشدِّداً في هذا الصدد على أنه من المهم لبلاده أنْ تدعم الفهم الصحيح للإسلام، وأنْ تدعم جميع رسائل السلام، وأنْ تدعم مفهوم «رحمةً للعالمين» الذي جاء به الإسلام.

وواصل المؤتمر مداولاته بمداخلاتٍ من القيادات الدينية والفكرية المشاركة من حولٍ العام، وذلك في إطار محاور المؤتمر وقضاياه، ثم أصدر المؤتمرون بياناً ختامياً أكدوا فيه أنَّ كلَّ إنسان مخلوق متميز في هذا الكون، وهو مشمول بالتكريم الذي لا يَقبل سلبية التمييز ولا يَعرف المحاباة، مهما كان دينه أو جنسه أو لونه أو عِرقه.

وشددوا على أهمية دور أتباع الأديان بالإسهام في تعزيز سلام عالمنا ووئام مجتمعاته، وأن مهمّة القادة الدينيين هي استدعاء النماذج الحضارية التي تَبْني جسور التعاون والسلام بين الجميع لصالح الجميع.

وأوضحوا أنَّ الحوار الفعال والمثمر هو السلوك الأمْثل لحلّ النزاعات وإنهاء الصراعات، وتجسير العلاقات بين أتباع الحضارات.

وأكدوا أنَّ التنوع الديني والثقافي وما ينتج عنه من تنوع معرفي، يستدعي إقامةَ شراكةٍ حضارية فاعلة؛

مختار:
تنظيم المؤتمر يعكِس متانة العلاقة بين رابطة العالم الإسلامي والحكومة الماليزية

وتواصُلاً بنَّاءً، ضمن عقْد اجتماعي مشترك، يستثمر تنوع الرؤى في خدمة الإنسانية، وتحقيق التنمية الوطنية الشاملة.

وأشاروا إلى أنَّ المواطَنة الواعية ترتكز على احترام قوانين الدولة الوطنية وهُويتها، وعدم تهديدها أو التحريض عليها، ورفْض سلبيات التقسيم للمجتمعات على أساس ديني أو عرقي، والتصدي لإثارة نعرات الكراهية والعنصرية.

وشدَّد المؤتمرون على أنَّ التحالف الديني والتبادل الثقافي لتحقيق الأهداف الحضارية المشتركة هو الأنموذج الأكمل لتخليص عالَمنا من تهديدات صدامه وصراعاته ذات الصلة.

كما أصدر المؤتمرون عدداً من التوصيات التي تضمّنها البيان الختامي، بما في ذلك دعوة المؤسسات التابعة للأديان الكبرى في العالم، إلى التعاون والتنسيق فيما بينها في خدمة المشتركات الإنسانية، واحترام الخصوصيات الدينية والثقافية.

وأوصى المؤتمرون أيضاً بتشجيع الخطاب الوسطي المعتدل الذي يُبرز سماحة التدين ليعزز أواصر التضامن والتآخي بين المجتمعات الإنسانية، ونبْذ الخطاب المتطرف الذي يثير الكراهية، ويُوظّفُ الدين في افتعال الأزَمَات وتأجيج الصّراع.

وحثّوا على تكثيف اللقاءات بين علماء الأديان وقادتها لدراسة المسائل والأطروحات الشائكة حول التعايش المجتمعي، مثمنين في هذا الصدد مبادرة رابطة العالم الإسلامي في إصدار (وثيقة مكة المكرمة)، وما اشتملَت عليه من مبادئ وأُسس لترسيخ التعارف والتعاون وتجسير العلاقات لصالح الجميع، وإرساء قيم التعايش والتسامح بين أتباع الأديان والثقافات، واعتبارها ضمن طلائع مرجعيات تعزيز السِّلم والوئام العالمي لما تتضمنه من المبادئ الإنسانية المشتركة.

ودعا المؤتمرون في توصياتهم إلى تكوين لجنة عليا للمؤتمر تضمّ قادة دينيّين وخبراء ومفكرين، برئاسة مجلس الوزراء الماليزي والأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي، تتولّى تشكيل فِرَق عملٍ متخصصة تحقق أهدافها، بما في ذلك الدفع نحو وقف الحروب والنزاعات، عبر إرسال الوفود الممثلة للجنة العليا ومخاطبة الحكومات والمنظمات الدولية حول العالَم، وفي مقدمة ذلك التدخل الفوري والعاجل لإيقاف الحرب في غزة، والالتزام بما تُمليه العهود والمواثيق الأممية والحقوقية، والعمل على إنهاء معاناة الشعب الفلسطيني، وضمان نيل حقوقه المشروعة.

كما أوصوا أن تقوم هذه اللجنة بإنشاء منصة إعلامية تتبَع للجنة العليا للمؤتمر، لتفعيل دور الإعلام في تعزيز الوعي باستيعاب السنة الكونية في التنوع بين الشعوب والحضارات، إضافة إلى فتْح قنَوات مبتكرة للتواصل بين المكونات المختلفة حول العالم، وتشجيع مبادرات التآخي حول المشتركات، وتفكيك الخطابات العنصرية والإقصائية.

بحضور رئيس وزراء ماليزيا:

جامعة «مالايا» تمنح د. العيسى الدكتوراه الفخرية

■ كوالالمبور:

بحضور دولة رئيس وزراء ماليزيا، الداتو سري أنور بن إبراهيم، ونوابه، منحت جامعة مالايا؛ الجامعة الحكومية الأشهر والأعلى تصنيفاً في منطقة آسيان، معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، رئيس هيئة علماء المسلمين، فضيلة الشيخ الدكتور محمَّد بن عبدالكريم العيسى، شهادة الدكتوراه الفخرية في العلوم السياسية، تقديراً لجهوده البارزة في الدبلوماسية الإسلامية.

وتخرَّج من جامعة مالايا التي تقع في العاصمة الماليزية كوالالمبور، والمعروفة بترتيبها المتقدِّم عالمياً، وفق عدة تصنيفات دولية، أبرزُ القادة السياسيين في ماليزيا

وسنغافورة، منهم رؤساء وزراء ماليزيا السابقون: مهاتير محمد، وعبدالله أحمد بدوي، ومحيي الدين ياسين، وإسماعيل صبري يعقوب، ورئيس الوزراء الحالي أنور إبراهيم، إضافة إلى رئيسي سنغافورة السابقين: بنيامين شيريس، وإس آر ناثان.

وأكَّدت رئيسةُ الجامعة الدكتورة عائشة أونغ في كلمتها خلال مراسم حفل منح الدكتوراه أنَّ الجامعة تفتخر بهذا التكريم لشخصية بارزة وجديرة بالتقدير، ذاتِ تأثير ديني قوي، وسمعة علمية وفكرية عالية، تحظى بالاحترام والثقة الكبيرة في العالم الإسلامي.

من جانبه، أعرب معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، في كلمة له بمناسبة تقليده الدكتوراه الفخرية، عن اعتزازه بهذا التكريم من هذه الجامعة العريقة المشهود لها بالرصانة والتميُّز، والتي تخرج منها كبار الشخصيات التي قادت ماليزيا.

وأشار د. العيسى في ختام كلمته إلى أن هذا التكريم يحمل في طياته تكريم رابطة العالم الإسلامي التي هي حسنة من حسنات المملكة العربية السعودية أهدتها للعالم الإسلامي.

برعاية رئيس وزراء ماليزيا

د. العيسى يدشن مجلس علماء آسيان

■ كوالالمبور:

دشَّن معالي الأمين العام للرابطة، رئيس هيئة علماء المسلمين، فضيلة الشيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى، في العاصمة الماليزية كوالالمبور، «مجلسَ علماء جنوب شرق آسيا»، برعايةٍ من دولة رئيس وزراء ماليزيا، السيد أنور بن إبراهيم، وحضور معالي نائبه، الدكتور أحمد زاهد حميدي، إضافةً إلى كبار العلماء والمفتين في دُوَل الآسيان.

ويُعدُّ «مجلس علماء آسْيان» أولَ مجلسٍ إسلاميّ جامعٍ في المنطقة، ويضمّ كبارَ المفتين والعلماء في دُوَل جنوب شرق آسيا، وهو باكورة «المجالس العُلَمائية الإقليمية» التي عمِلت رابطة العالم الإسلامي على تأسيسها حول العالم.

يمثّل «مجلس علماء آسْيان» منصّةً لجمع كلمة العلماء تجاه قضاياهم الكبرى، يتمُّ فيها تداوُل الأفكار وتوحيد الرؤى، للتوصُّل إلى حلولٍ للمشكلات المُشتَرَكة في دُوَل جنوب شرق آسيا.

كما سيكون المجلس جسراً للتواصل بين الشعوب داخل دول المنطقة، وبينها وبين العالَم الإسلامي، بالإضافة إلى إطلاق مبادراتٍ عمليةٍ لتعزيز الهُوية الإسلامية

في إطار الوئام المجتمعي والمواطَنة الشاملة.

ويأتي تدشين المجلس تنفيذاً لتوصيات «مؤتمر علماء جنوب شرق آسيا» الذي عُقِدَ في كوالالمبور بتاريخ ٣٠ يونيو ٢٠٢٢م، حيث أوصى المؤتمر بإنشاء مجلس علماء في جنوب شرق آسيا تحت مظلة رابطة العالم الإسلامي، وقد حظِيت التوصية بموافقة من دولة رئيس وزراء ماليزيا.

وفي مستهلِّ حفل تدشين المجلس، ألقى الوزيرُ في رئاسة مجلس الوزراء للشؤون الدينية بماليزيا، معالي السيناتور حاج محمد نعيم بن حاج مختار، كلمةً ترحيبيةً، تقدّم فيها بالشكر لمعالي الأمين العام للرابطة، على تعاونه مع الحكومة الماليزية في هذا الحدث المهّم.

أشاد المجلس بالحراك الملهم الذي كان سبباً في إنجاح تأسيسه.. منوّهاً في هذا السياق بمضامين «وثيقة مكة المكرمة» و «وثيقة بناء الجسور بين المذاهب الإسلامية»

بعدها أعلن الأمين العام للرابطة، الشيخ الدكتور محمد العيسى، عن تدشين أُولى جلسات المجلس، عبر كلمةٍ أكَّد فيها على أهمِّية وَحدة كلمة علماء المَنطقة في قضاياهم الإسلامية الكُبرى، منوِّهاً بدور هذا المجلس في الاضطلاع بمهمة توحيد الرأي في القضايا العامة، وفي طليعتها التصدِّي لحملاتٍ مُغرضةٍ تستهدفُ دينَ الإسلام إمَّا عن جهلٍ أو عمد.

وأكَّد د. العيسى أنَّه على العلماء، بما آتاهم الله من العلم والبصيرة، أنْ يضطلعوا بمسؤوليتهم في مواجهة تلك الحملات التي تولَّدت عنها، مع الأسف، أفكارُ ما يُسمَّى بالإسلاموفوبيا (رُهاب الإسلام)، والتي جاءت من فهمٍ خاطئٍ عن دين الإسلام أو من مواقف مُتَعَمّدة الإساءة ومن ثم الترويج لها.

وعبَّر د. العيسى عن تطلُّعه إلى أنْ تَصْدر عن هذا المجلس، تِبَاعاً، جهودٌ في التصدي لتلك الحملات بكافة السبل.

ونبَّه معاليه إلى أنَّ العلماء يتحمَّلون مسؤوليةً كبيرةً في هذا الشأن وغيره من قضايا الأمة الكبرى، وعليهم بخاصة تبصير الشباب الإسلامي وتعزيز وعيهم وتحصين أفكارهم من عاديات الشرّ، كما أكد معاليه على أهمية دور الأسرة والتعليم.

وأشار إلى أهمية أنْ تَصْدُر عن مجلس علماء جنوب شرق آسيا، أبحاثٌ ودراساتٌ، مع التركيز في ذلك على إبراز حقيقة الإسلام، ولا سيما سماحته.

بدوره، أعرب معالي نائب رئيس وزراء ماليزيا، الدكتور أحمد زاهد حميدي في كلمته عن تقديره لحضور العلماء والمفتين لهذا الحدث المهمّ، متَوجِّهًا بالشكر في هذا السياق إلى رابطة العالم الإسلامي، ومعالي أمينها العام، الشيخ د. محمد العيسى، مُعبّراً عن أمله في أن يؤديَ مجلسُ علماء جنوب شرق آسيا، دوراً حاسماً في التصدي للتطرف وتعزيز الاعتدال والوسطية، ودعم التماسك الاجتماعي والتعاون الشعبي.

وأشاد المجلس في ختام مداولاته بالجهود المبذولة والحراك الملهم الذي كان سبباً في إنجاح تأسيسه وانعقاد أولى جلساته، منوِّهًا في هذا السياق إلى مضامين «وثيقة مكة المكرمة» التي جمعتْ علماءَ الأمة الإسلامية من مختلف طوائفهم في مكة المكرمة برمضان، وأيضاً إلى «مؤتمر بناء الجسور بين المذاهب الإسلامية» الذي صدرتْ عنه «وثيقة بناء الجسور بين المذاهب الإسلامية»، في شهر رمضان الفائت بمكة المكرمة، بحضور علماء الأمة الإسلامية ومفتيها.

رئيس وزراء اليونان يستقبل د.العيسى

■ الرابطة - أثينا:

استقبلَ دولة رئيس الوزراء بجمهورية اليونان، السيد كيرياكوس ميتسوتاكيس، في مقرّ رئاسة الوزراء بأثينا، معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، رئيس هيئة علماء المسلمين، فضيلة الشيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى.

وناقش اللقاءُ عددًا من الموضوعات ذات الاهتمام المشترك، فيما نوَّه معالي الأمين العام خلال اللقاء إلى القِيم الإسلامية الداعية لسلام عالَمنا والتعارُف بين شعوبه؛ مُثمِّنًا حفاوةَ دولته ومشاعرَه الطيبة نحو الإسهام الحضاري الإسلامي.

عقب ذلك، التقى فضيلته بالمُكوِّن الإسلامي في اليونان من المفتين والأئمة وعددٍ من الشخصيات الإسلامية، كما زار مسجد أثينا، معبِّرًا عن سروره بالحوار الضافي الذي دار خلال اللقاء؛ ومُقدِّرًا تثمينَ المُكوِّن للدور العالمي الذي تضطلع به رابطة العالم الإسلامي في مساعيها لتحقيق تطلعات الأمة الإسلامية نحو رسالتها العالمية

الداعية لخير البشرية. وفي السياق ذاته، التقى معالي الأمين العام، الشيخ الدكتور محمد العيسى، في أثينا، رئيسَ أساقفة أثينا وسائر اليونان، السيد إيرونيموس الثاني، حيث أكَّد الجانبان على أهمية دور القيادات الدينية في معالجة كافَّة أشكال الصِّدام الديني والإثني والحضاري حول العالم.

كمـا التقـى نيابـةً عـن معالي الأمين العام، سـعادة مسـاعد الأمين العام للاتصال المؤسسـي، الأسـتاذ عبدالوهاب الشهري، في مقرّ البرلمان بأثينا، معاليَ النائب الأول لرئيس البرلمان اليوناني، السيد يوانيس بلاكيوتاكيس.
وشهد اللقاء توقيع مذكّرة تفاهُمٍ بين الرابطة والجمعية البرلمانية الدولية الأرثوذكسية.

الرابطة تُسيّر قافلة طبية تجوب آسيا وإفريقيا لـ «إنعاش القلوب»

■ الرابطة - مكة المكرمة

دشّنت رابطة العالم الإسلامي برنامجاً طبياً ضخماً لإجراء العمليات الجراحية وقسطرة القلب في الدول الفقيرة التي يفتقد سكانها لأبسط الإمكانيات المتخصصة، وذلك بتوجيه مباشر من معالي الأمين العام للرابطة، الشيخ د. محمد بن عبد الكريم العيسى، سعياً إنسانياً لرعايتهم ورفع جودة الخدمات الصحية وكفاءتها في الكثير من البلدان، بالتعاون مع الجهات والمنظمات الحكومية وغير الحكومية ذات العلاقة.

وشكّلت الرابطة قافلة طبيّة تضم استشاريين وأخصائيين وفنيين متخصصين من داخل المملكة العربية السعودية وخارجها -بالتعاون مع الجهات المختصة- حملوا على عاتقهم عهدا بمدّ يد العون لكل مريض محتاج، يشدّون إليهم الرحال، على امتداد دول

الاحتياج في آسيا وإفريقيا؛ لإجراء العمليات الجراحية وإنعاش القلوب وإعادة الأمل لأكثر من ١٥٠٠ مريض قلب في مختلف أرجائها -أطفالاً وشباباً وكهولاً- ممن حالت ظروف دولهم وقلة ذات اليد دون علاجهم؛ نظراً للتكلفة العالية لعمليات جراحة القلب، وعدم توفر الإمكانيات التقنية أو البشرية فيها، حيث أجرت الفرق الطبية المشتركة عمليات معقدة لمجموعة من الأطفال المرضى، تم اختيارهم بعناية بعد فحص مئات الحالات ممن لديهم عيوب خُلقية وقصور في عمل وضيق الصمامات أو تشوه أو انعكاس الأوعية القادمة للقلب، وتأكد -بالفعل- احتياجهم للخضوع لهذه العمليات.

وامتداداً لذلك، أنشأت رابطة العالم الإسلامي المستشفيات والمراكز الصحية، وتبنت مراكز التطعيم، ومكافحة الأوبئة، ووفرت العلاج والرعاية الصحية للمرضى المحتاجين بدون أي تفرقة من ناحية الجنس أو اللون أو الدين، سيراً على نهج الشريعة الإسلامية شريعة الرحمة الواسعة الشاملة التي جعلت في كل كبد رطبة أجراً.

إلى ذلك، تُعدّ هذه القافلة الطبيَّة غيضاً من فيض مبادرات رابطة العالم الإسلامي وإسهاماتها الإغاثية والتنموية المتواصلة التي تصبّ في مسار جهودها الإنسانية، حيث تُمثِّل المشروعات الصحيَّة أولوية متقدمة للرابطة، وتُقدِّم من خلالها خدمات صحيَّة شاملة للفئات الضعيفة والفقيرة حول العالم خصوصًا فئة الأطفال وكبار السن.

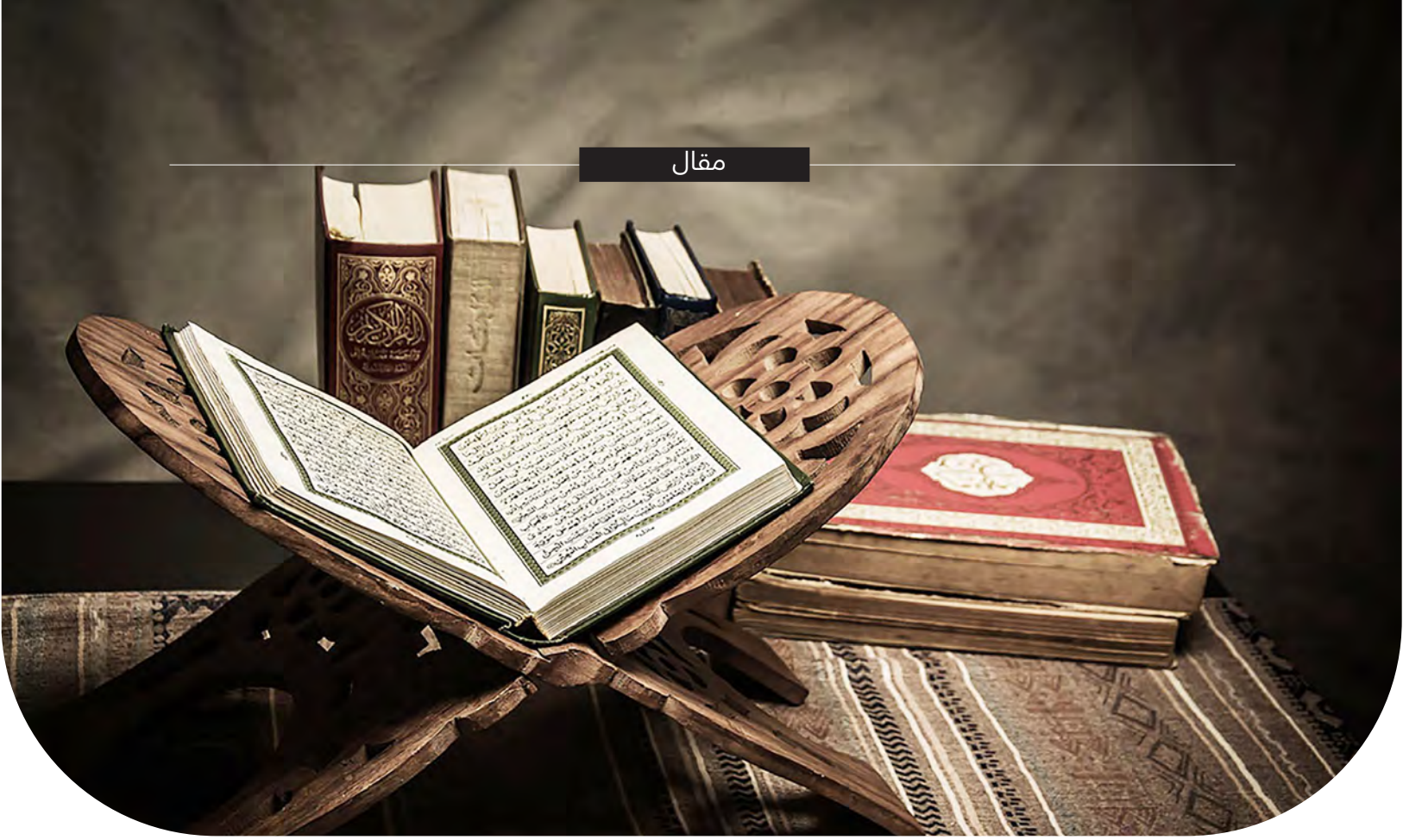

تشويه «الاختلاف الفقهي»

في خطاب جماعات التطرف

إعداد- الزبير عبدالله الأنصاري - جدة

يعدُّ الاختلافُ الفقهي بين العلماء أحدَ مبادئ التيسير في الشريعة الإسلامية لرفع الحرج والتوسيع على الناس في حياتهم، ولأجل هذا المبدأ كانت معظمُ الأدلَّة الشرعيةِ التي تتقرَّر بها الأحكامُ من قبيل الظنِ لا القطع لئلا ينحصروا، كما يقول الزركشي، «في مذهب واحد لقيام الدليل عليه».

وللاختلاف الفقهي دواعيه وأسبابه الكثيرة التي نورد طرفاً منها على جهة الاختصار:

أولاً: انعدام نصٍّ شرعيٍّ في المسألة محلِّ النظر، الأمر الذي يفرض على العلماء الاجتهاد في المسألة، والنظر فيها وفقاً لما تقتضيه مبادئ التشريع ومقاصده العامة التي تتحقَّقُ بها مصالحُ المجتمع.

ثانياً: وجود نص في المسألة، لكنه ليس قطعياً، وإنما ظني، والظنية تطرأ على النص إمَّا من جهة الدلالة، بحيث لا يكون واضحاً في معناه، وهذا واقع في القرآن والسنة على السواء، وإمَّا من جهة الثبوت بحيث يكون النصُّ الشرعيُّ من قبيل رواية الآحاد، وهذا النوع مما اختصَّت به السنة، وإمَّا من الجهتين معاً كأن يكون النصُّ حديثَ آحاد، ثم هو، في الوقت نفسه، ملتبسُ الدلالة في تحديد المراد منه، وقابلاً للحمل

على أكثر من وجه.

وهذا النوع من أسباب الاختلاف الفقهي يفتح الباب مشرعاً أمام التأويل المسدَّدِ بنور الوحي، لحمل نصوص الشريعة على المحمل اللائق بمقاصدها الشريفة في عمارة الأرض، وتحقيق مصالح البلاد والعباد.

ثالثاً: التغيرات التاريخية والاجتماعية التي تملي على مجتهدي كل عصر إعادة النظر في المسائل الفقهية، خصوصاً تلك التي وقع فيها الاختلاف، لاختيار أكثر المذاهب ملاءمة لمجتمعاتهم، والظرف التاريخي لهذه المجتمعات.

وهكذا يتبيَّن لنا من خلال هذا العرض الموجز لأسباب الخلاف الفقهي ودواعيه أنَّها قائمةٌ في جوهرها على السَّعة والتخيُّر وإرساء الأسس الضرورية لإثراء النظر الفقهي وتكييفه وفقاً لمتطلَّبات كل عصر.

وقد كان منهجُ العلماء في التأصيل للاختلاف ومراعاته والإقرار بضرورته شاهداً على مكانته في الإسلام، سواءً من جهة إرسائهم للمبدأ العام الذي يعد «كل مجتهد مصيب» متى كان اجتهادُه في إطار الأسس الحاكمة لفهم النص الشرعي، ومقاصده العامة، ومن ثم لا يُخَطَّأ ولا يُشَنَّعُ عليه، أمْ من جهة ملاحظتهم لقلَّة المسائل التي وقع عليها الإجماعُ في التشريع الإسلامي، في مقابل تلك المسائل الكثيرة التي كانت محلَّ بحث واختلاف بين المذاهب والاتجاهات الفقهية.

لكن مع جماعات التطرُّف والإرهاب أصبح مبدأُ الاختلاف مبدأَ شقاق وفُرْقَة، وتحوَّل من كونه رحمة وتيسيراً إلى سيف مسلَّط على الأمَّة لتقسيمها فرقاً وأحزاباً، وتخريب علاقتها بالآخر المختلف حضارياً ودينياً. لقد حرصت هذه الجماعات فيما تصدره من فتاوى وآراء على مسخ ماهية الخلاف الفقهي، وإنشائه خَلْقاً آخر مختلفاً كلَّ الاختلاف عن الممارسة التي استقرَّت طيلة قرون في التقليد الإسلامي.

وسنوجز هنا جانباً من مظاهر تعامل الجماعات المتطرفة مع الخلاف الفقهي:

١- رفع الخلاف الفقهي إلى مستوى الخلاف العقدي بما يستتبعه ذلك من التوسُّع في إطلاق أوصاف التبديع والتكفير على المسلمين من ناحية، وجرِّ المجتمعات المسلمة، من ناحية أخرى، إلى صراع مفتوحٍ مع الآخر، ومع مقتضيات الزمان والمكان.

وعند النظر في كثير من القضايا التي اعتمدتها هذه الجماعات للمفاصلة، وتمييز المسلمين عن غيرهم، نجدها في الغالب الأعم من مسائل الفروع الخاضعة لتصورات فقهية، فقضية مثل الخلافة الإسلامية المزعومة هي في حقيقتها اجتهادٌ فقهيٌّ في مرحلة تاريخية معينة لخدمة أغراض تنظيمية وإدارية، نظراً لكون نصوص الكتاب والسنة لم تنص على شكل محدَّد للتنظيم السياسي في مجتمع ما، وإنما نصَّت فقط على المبدأ العام «وَأَمْرُهُمْ شُورى بَيْنَهُمْ»، وتركت التفاصيل الأخرى المتعلقة بتشكيل البنية السياسية والإدارية لاجتهاد علماء الأمة وولاتها.

لكنَّ الجماعاتِ المتطرِّفَة سعت لتجريد الاجتهادات الفقهية المتعلِّقة بالخلافة من شروطها التاريخية، وتحويلها إلى أصلٍ عقدي، مسوغين بذلك الخروج على ولاة الأمر، وإنشاء كيانات موازية لزعزعة الدولة الوطنية الحديثة التي ارتضاها جمهور المسلمين أساساً ناظماً لشؤونهم الدينية والدنيوية.

وهكذا الحال في المسائل المتعلقة بعلاقات الدول الإسلامية مع غير الإسلامية، وإرساء السلام معها، والتعاون معها في إقامة المنافع العامة كالتجارة

كان منهجُ العلماء
في التأصيل للاختلاف ومراعاته
والإقرار بضرورته شاهداً على مكانته في
الإسلام

وحفظ الأمن، فهي أيضاً مما ينتظم ضمن المصالح المرسلة الخاضعة لتقدير ولي الأمر واجتهاده. وهذه المصالح مؤصَّلٌ لها نصاً في محكم التنزيل، كما في قوله تعالى: «لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ»، وكما في هدي النبي صلى الله عليه وسلم في معاهدة غير المسلمين ومواصلتهم والإحسان إليهم، وإجماعاً كما يشهد بذلك تاريخ الممالك الإسلامية المتتابعة في إقامة العلاقات بمختلف أشكالها مع الكيانات السياسية لغير المسلمين.

لكنَّ الجماعاتِ المتطرفَة عمِلَتْ على إخراج هذه القضية من دائرة الاجتهاد الفقهي، وخلْطِها بمسائل العقيدة، والفهم المنحرف للولاء والبراء، والدَّعاوى العريضة لإكراه غير المسلمين على الإسلام، في مخالفة صريحة لنصوص الشريعة ومقاصدها، وإنكارٍ لما تقتضيه السنُن الكونيةُ من بقاء الاختلاف في الدين، وضرورة التعايش حتى لا يصبَح هذا الاختلافُ مدعاةً لسفك الدماء والإفساد في الأرض.

٢- سدُّ باب الإعذار، وهذا مبني على الأول وناتج عنه، لأنَّ رفع الخلاف الفقهي إلى مستوى العقيدة، يستلزمُ لا محالة، بحسبِ الأصولِ الفاسدة لهذه الجماعات، وصفَ المخالف بأوصاف التبديع والتكفير، بل واستباحة دمه في أحيانٍ كثيرة كما تشهد بذلك ممارسات الإرهاب المروعة لحركات التطرف.

وهذا المنهجُ الفاسدُ في التعامل مع المخالف، يتعارضُ مع ما استقرَّ عليه العمل لدى علماء المسلمين ومجتهديهم في إعذار بعضهم البعض، انطلاقاً من أنَّ المجتهَد إذا أصاب فله أجران، وإنْ أخطأ فله أجرٌ واحد، ما يعني أنَّه مأجور في جميع الأحوال، بل عُرف عن علماء الإسلام العدول عن آرائهم إلى رأي المخالف إذا بدا لهم رجحانه واعتضاده بنص صريح أو بقياس صحيح.

٣- ادعاء التطابق بين فهمهم للنصوص الشرعية ومقصود الشارع، في خلاف لما استقرَّ عليه جمهور علماء الأمة من ظنية هذا النوع من الفهم، بما تقتضيه آليات التفسير المتعارف عليها، وبما ينطوي عليه من بعد تأويلي يتعلَّق بتكوين المفسر المعرفي وسياقه التاريخي والاجتماعي، فنصوص الشريعة وإن كانت وحياً إلهياً إلا أنَّ فهمها وتطبيقها (خصوصاً في الظني منها قرآناً كان أم سنة)، قائمان على جهد بشري يعتوره الخطأ والزلل.

وقد نبَّه الإمام الشوكاني، رحمه الله، إلى خطر هذه الدعوى عند من يستغلها لإلغاء الآراء الفقهية الأخرى لمجتهدي الأمة وتكفير هؤلاء المجتهدين وتبديعهم، بحجة أنَّ ما اختاره هو الموافق للكتاب والسنة، قال: «فإياك أن تغترَّ بقول من يقول منهم: إنه يدلُّ على ما ذهب إليه الكتابُ والسنةُ، فإنَّ ذلك دعوى باطلة مترتبة على شبهة داحضة».

٤- الميل لاختيار الآراء المتشددة بدعوى التحوط، مع أنَّ الأصل اختيار القول الذي تنصره الأدلة ويبدو موافقاً لما تقتضيه المصلحة العامة، كما أنَّ التيسير أصل من أصول الشريعة التي تنبغي مراعاتها عند النظر في الأقوال المختلفة.

٥- التهوين من الآراء الفقهية الصادرة عن مؤسسات الفتيا الرسمية، ومؤسسات الاجتهاد الجماعي كالمجامع الفقهية ونحوها، بدعوى صدورها في قراراتها ليس عن اجتهاد أصيل، وإنما عن إملاءات وتوجيهات خارجية، وغير ذلك من الدعاوى الفاسدة، مع أنَّ الأحرى بالمنصف أن يعدَّ القول الصادر عن مثل هذه المؤسسات أدقَّ وأولى بالقبول لتقيده بضوابط الفتوى، وتحقق العلماء المنتسبين لمثل الهيئات بالشروط اللازمة للفتوى من قبيل العدالة، والعلم، والاطلاع العميق على أحوال المجتمعات التي يفتون من أجلها.

في المقابل، نجد أنَّ الآراء الفقهية لجماعات التطرف تصدر غالباً إمَّا عن شخصيات مجهولة الحال، أو شخصيات مفتقرة إلى التكوين العلمي والمنهجي، علاوة على كونها مأزومة ومحكومة بظروف صدامية معينة تمنعها من النظر بعمق وإنصاف في الإطار الأوسع للمسألة محل النظر، واللوازم المترتبة على تطبيقها.

هذه السمات، التي تطرَّقنا إليها بإيجاز، ملازمة في الغالب الأعم للآراء الصادرة عن جماعات التطرف والإرهاب، وينبغي أنْ تكون بمثابة جرس إنذار ينبِّه الباحثَ عن الفتوى، خصوصاً على شبكة الإنترنت، إلى وجود خلل ما في الجهة المصدرة للفتوى، وضرورة التحقق من أهل العلم والجهات المعتمدة، والمصادق عليها رسمياً.

وبإزاء هذا التعاطي المنحرف لجماعات التطرف مع قضية الاختلاف الفقهي، قام منهج العلماء الربانيين والراسخين في العلم على وضع هذه القضية في سياقها الصحيح، ومن ذلك ما نصَّت عليه وثيقة «بناء الجسور بين المذاهب الإسلامية» الصادرة عن المؤتمر الدولي حول بناء الجسور بين المذاهب

المنهجُ الفاسدُ في التعامل مع المخالف، يتعارضُ مع ما استقرَّ عليه العمل لدى علماء المسلمين ومجتهديهم في إعذار بعضهم البعض

الإسلامية الذي نظَّمته رابطة العالم الإسلامي يومي ٧-٨ رمضان من عام ١٤٤٥هـ في جوار المسجد الحرام بمكة المكرمة، حيث أكدت أنَّ «تعدُّد المذاهب والرؤى بين المسلمين يُحْسَب في جملة السنن الكونية القَدَريَّة التي قضت بحتمية الاختلاف والتنوع لحكمة أرادها الخالق جل وعلا، وهو ــ في مجمله ــ يعودُ إلى عواملَ منهجيةٍ، تتعلق بأُسُس منطلقات المدارس الإسلامية، وإلى متغيراتٍ تتصل بظروف مكانية وزمانية وعرفية».

كما نبَّهت الوثيقة إلى أنه «لا بد من استيعاب تلك السُّنة والتعامل معها بوعي وحكمة، وفي طليعة ذلك الحذرُ من أسباب الفرقة والشتات؛ فإنّ ما يَجمع أتباع المذاهب الإسلامية أكبرُ مما يفرّقهم، ولا سيما الشهادتين والعمل بمقتضاهما، وإن ما يوحّدهم من مستحقات الأخوة الإسلامية أعظمُ ممّا تتعدد فيه رؤاهم، وعلى المسلم في جميع الأحوال البحثُ عن جادة الصواب واتباعِها».

هذا الفهم القويم للاختلاف الذي يركز على حتميته من جانب، وعلى استيعابه وفهمه في إطار المشتركات من جانب آخر، هو الذي تحاول جماعاتُ التطرفِ التشويشَ عليه، من خلال السعي لفرض آرائها المنحرفة، وتضييق الواسع، وتحويل ما كان في الأصل نعمة وتيسيراً إلى مدخل لتفريق الأمة وتصنيف أبنائها شيعاً وأحزاباً متنافرة، بما يؤثر على وحدتها وتماسكها في وجه التحديات المشتركة.

المسلمون في تايلاند

بقلم: محمد غروي ـ ماليزيا

يشكل المسلمون في تايلاند الديانة الثانية بعد البوذية بنسبة لا تزيد على ٦٪ من سكان البلاد بنحو ٧,٥ ملايين فرد مسلم، بحسب المصادر التايلاندية الرسمية. ويعود دخول الإسلام إلى تايلاند إلى القرن الثالث عشر تقريبًا بحسب الدارسين والباحثين، وهو الوقت نفسه تقريبًا الذي غدا فيه الإسلام منتشرًا بأرخبيل الملايو. ويتركز غالبية مسلمي تايلاند بالقرب من الحدود مع ماليزيا في المناطق والولايات الجنوبية، وبالتحديد في مقاطعات باتاني وناراثيوات وساتول. ورغم ما هو معروف عن تايلاند بكونها بلدًا ذات أغلبية بوذية، فإن الديانة الإسلامية تحظى برعاية واحترام رسمي وملكي على مر العديد من السنوات. وحج إلى الأراضي المقدسة بحسب إحصائيات رسمية في عام ٢٠١٨ حوالي ٨ آلاف حاج.

نشأة الإسلام في تايلاند

تشير العديد من المصادر التاريخية إلى أن الإسلام دخل المنطقة وبدأ السكان المحليون باعتناقه في الفترة ما بين القرن الثالث عشر والرابع عشر الميلادي. ويرجع الباحثون الوجود الإسلامي في النظام السياسي التايلاندي التقليدي إلى القرن الثالث عشر في عصر سوخوثاي، ولكن لم يؤكد المسلمون مكانتهم إلا خلال فترة مملكة أيوثايا التي حكمت في الفترة بين القرنين الرابع عشر والثامن عشر الميلاديين. وصعد المسلمون في هذه الفترة إلى مكانة بارزة في المملكة التايلاندية أيوثايا كقوة

سياسية إقليمية تزامنت مع فترة هيمنة التجارة الإسلامية في جنوب شرق آسيا وظاهرة الأسلمة في المنطقة، وخاصة في أرخبيل الملايو. ولا شك أن هذه المصادفة ساعدت في تحديد سبب حضور ونفوذ المسلمين في مملكة أيوثايا. مثل معظم الآخرين كانت الأنظمة السياسية في جنوب شرق آسيا مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالأحداث السياسية والتجارية التي كانت تتكشف في المنطقة ككل، على الرغم من أنها -على عكس الأرخبيل- لم تتأثر الممالك إلا بشكل محيطي بعملية الأسلمة.

وكان شكل الإسلام الذي اعتنقه السكان المحليون هو الإسلام السني الشافعي. وعلى الرغم من ذلك، يرجح البعض أن الديانة الإسلامية في تايلاند تعايشت واندمجت مع المعتقدات والممارسات الروحية الهندوسية البوذية السابقة. بالإضافة إلى ذلك، أثرت العناصر الشيعية والصوفية على الأشكال المحلية لنظام الاعتقاد.

بعض الباحثين يقسمون المسلمين في تايلاند إلى قسمين رئيسيين، ويمكن تحديدهما في «المسلمين الماليزيين»، الذين يتحدثون لغة الملايو ويقيمون بشكل رئيسي في جنوب تايلاند في عدد من المقاطعات المتاخمة لماليزيا، و«المسلمين التايلانديين»، الذين يقيمون في وسط وشمال تايلاند.

يشكل مسلمو الملايو في الجنوب أكثر من ٧٠٪ من السكان في تلك المنطقة، وعلى النقيض من ذلك، فإن المسلمين التايلانديين في وسط وشمال تايلاند يمثلون الأقليات العرقية والدينية الأصغر في تلك المناطق.

مسلمو تايلاند عبر التاريخ

تاريخياً، كان مسلمو جنوب تايلاند يقيمون في منطقة ثقافية مشبعة بالحضارة والروح الثقافية والسياسية والدينية الإسلامية الماليزية الإندونيسية، في حين تأثر مسلمو وسط وشمال تايلاند بالثقافة السياسية والدينية البراهمانية، والروحانية، والثيرافادا، والتقاليد البوذية. ولكن في الآونة الأخيرة، بسبب ممارسات وسياسات الدولة التايلاندية خلال القرن العشرين، تأثر جميع المسلمين في تايلاند بشكل كبير بالهيمنة الثقافية والسياسية والدينية البوذية البرهمانية الوثنية.

كان الإسلام من الديانات الأساسية في تايلاند منذ القرن الثالث عشر، ويذكر باحثون أن الإسلام كان مدعومًا أيضًا من قبل الدولة بطرق عديدة، فعلى سبيل المثال، رعى ملوك مملكة أيوثايا الإسلام في عدة جهات، منها استخدام أموال الدولة لبناء المساجد في أيوثايا وتنظيم المهرجانات الدينية الإسلامية التي كان يتحملها الملك.

وسمح الملك شولالونغكورن الذي حكم تايلاند في أواخر القرن التاسع عشر وحتى عام ١٩٠١ باستخدام الشريعة الإسلامية في شؤون الأسرة والميراث والقضايا القانونية بين المسلمين في المناطق الجنوبية. وسمح الملك التايلاندي أن يتولى قاضٍ مسلم وظيفة الحاكم والفاصل في مثل هذه القضايا، وتستمر هذه الممارسة حتى يومنا هذا لدى الأحداث والأسرة في المقاطعات، ولا يزال لدى المحاكم في المقاطعات الحدودية الجنوبية قضاة يجلسون في المحكمة مع القاضي.

وفي عهد الملك بوميبول أدولياديج العظيم الذي حكم تايلاند حتى عام ٢٠١٦، مُنِح نسخة عربية من القرآن الكريم من أحد أعيان المسلمين في عام ١٩٦٢، ومنها استلهم الملك فكرة الترجمة التايلاندية للقرآن باعتباره سيساعد المسلمين التايلانديين على تطوير وفهم أعمق للتعاليم الإسلامية. وأسندت هذه المهمة إلى توان سواناسات، الذي كان آنذاك شيخ إسلام تايلاند، الذي قضى سنة وسبعة أشهر وثمانية أيام لإنهاء ترجمة معاني القرآن الكريم عام ١٩٦٤. صدرت الترجمة التايلاندية بالشفرة الملكية للملك بوميبول أدولياديج على غلافه الأخضر من قبل دائرة الشؤون الدينية عام ١٩٦٨، وجرى توزيعه على المساجد في جميع أنحاء البلاد.

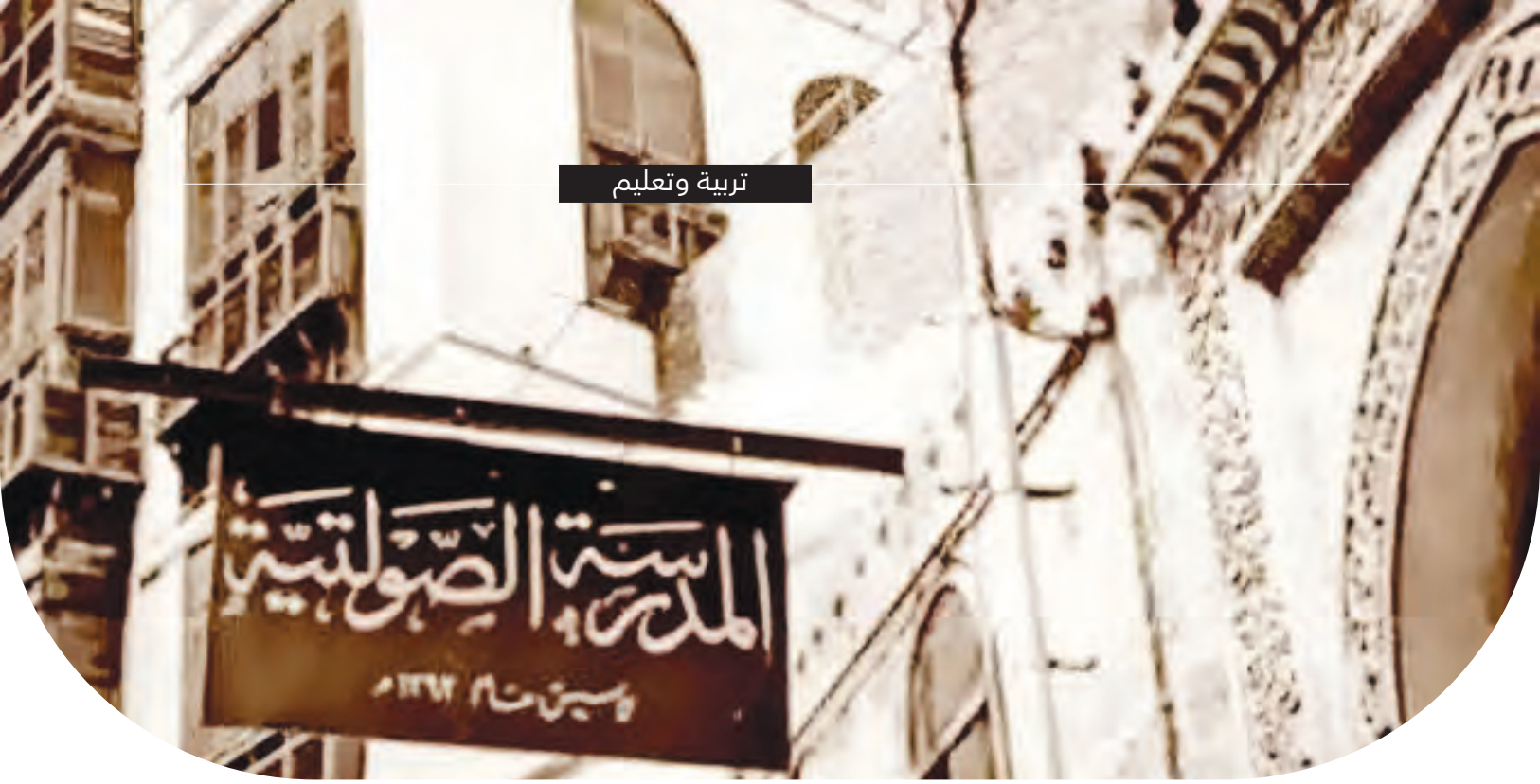

أسستها سيدة هندية قبل أكثر من ٢٠٠ عام

«الصولتية»

أول مدرسة نظامية في مكة المكرمة

بقلم/ د. محمد علي الوافي كرواتل ـ الهند

للهند تاريخ عريض مع البلدان العربية، اتفق معظم الأكاديميين المتخصصين في تاريخ الهند والعرب على أن هذه العلاقة ليست وليدة اليوم، بل إنها علاقة يرى المؤرخون أن جذورها بدأت منذ أيام نبي الله سليمان بن داود عليهما السلام.

ولم تنحصر هذه العلاقة في دائرة التجارة فقط، بل إنها مسّت التبادلات الثقافية والحضارية.

وكان العرب يسافرون إلى الهند، بل إن بعضهم جعلوها موطنهم الثاني، كما أن المسلمين من بلاد الهند كانوا يزورون بلاد الحرمين ويستفيدون من مناهلها العذبة خصوصا العلوم الدينية والإسلامية، حتى نبغ منهم العلماء والأئمة في مختلف الفنون الإسلامية.

ومن أجمل القصص في تاريخ العلاقة الهندية العربية، قصة ظهور المدرسة الصولتية، والتي تعتبر أول مدرسة نظامية أسسها الشيخ رحمة الله بن خليل الرحمن الكيرانوي الهندي في سنة ١٢٩٢هـ، بتبرع جميل من السيدة الهندية صولت النساء بيغم (Beegum Soulathunnisa).

وكان أبناء أم القرى يتطلعون في تلك الأيام إلى من يقوم بهذه المهمة الجليلة، حيث إن التعليم الإسلامي في تلك الأيام كان مقتصرًا على الكتاتيب وبعض الدروس التي تلقى في المسجد الحرام.

وتعدّ المدرسة الصولتية أم المدارس في مكة المكرمة،

والتي تولت تربية الجيل الماضي بطريقة منظمة ومنهجية.

والخريجون من هذه المدرسة قاموا بأدوارهم الريادية في مجال التعليم والتدريس، فمنهم من أسس عددًا من المدارس على غرار هذه المدرسة، أتى في مقدمتهم على سبيل المثال لا الحصر، فضيلة الشيخ حسن بن علي المساوي، مؤسس دار العلوم الدينية بمكة، وكذلك من خريجيها من أسسوا المدارس الدينية ودور القرآن الكريم في مختلف أنحاء العالم الإسلامي.

وكان لهذه المدرسة التي أسست على التقوى أطيب الأثر في تخريج ناشئة مثقفة من العلماء الذين نشروا سماحة الإسلام داخل المملكة وخارجها، كما أنها أنجبت من العلماء والفضلاء مَن اعتلوا مناصب القضاة في المحاكم على امتداد تاريخ الحجاز والمملكة.

ومن أبرز المشايخ الذين مروا على هذه المدرسة الشيخ والعالم الرباني رحمة الله الكيرانوي، إذ إن حضوره التاريخي لم يقتصر في بناء مدرسة إسلامية داخل الحرم المكي، بل عدّه الكثيرون قامة فكرية ودينية بارزة في عصره، أنفق جل وقته وجهده للرد على العقائد الباطلة التي انتشرت في بلاد الهند آنذاك.

وتولى تبديد الشبهات في أذهان الناس، وإعادة الثقة الإيمانية إلى أبناء الأمة الإسلامية ورفع معنوياتهم وافتخارهم بفضل دينهم وعزة عقيدتهم.

وقد سجل التاريخ تلك المناظرة المشهورة التي جرت بينه وبين العالم فندر.

ولمكانته العلمية في الرد على الأباطيل، دعاه الخليفة العثماني السلطان عبد العزيز خان إلى عاصمة الدولة العثمانية الآستانة، حيث وجد الشيخ رحمة الله حفاوة بالغة في حفلة رسمية كبيرة حضرها الوزراء والعلماء وكبار رجال الدولة.

وأكرمه السلطان بالخلعة السلطانية وبالوسام المجيدي

من الدرجة الثانية، وذلك تقديراً لجهوده في المدافعة عن العقيدة الإسلامية.

وبعد أن قضى أياماً في عاصمة الدولة العثمانية، عاد الشيخ رحمة الله إلى الحرم المكي لكي يستمر في تدريسه وتعليمه.

المدرسة الصولتية

وبعد عودته من الآستانة عام ١٢٨٠هـ، ركز الشيخ محاولاته وجهوده على تعليم أبناء مكة المكرمة، واشتغل بالتدريس في الحرم المكي.

وكون مكة المكرمة هي مأوى العلماء وطلاب العلم، وأصحاب الفتيا والمتخصصين. وكل هؤلاء كانوا يديرون حلقات التدريس والتعليم في الحرم المكي ويسعون جاهدين لتقديم ما عندهم من العلوم الإسلامية والعربية والعلوم الشرعية الأخرى، إلا أنه لم توجد هناك مدرسة منظمة تعمل وفق طريقة منهجية واضحة وسط بيئة تعليمية محفزة.

ولأهمية تأسيس مدرسة إسلامية تتكفل بتربية أبناء المسلمين بطريقة منظمة وجامعة بين علوم الدنيا والدين، فكر الشيخ رحمة الله الكيرانوي في تأسيس مدرسة مركزية ذات طابع متميز تقدم الدروس في العلوم الدينية والدنيوية معا، حتى يكون طالب العلم وخريج المدرسة قادرين معاً على مواجهة صروف الحياة.

وافتتح الشيخ مدرسته بدار أحد أمراء الهند المهاجرين والمعروفة بدار السقيفة عند مطلع جبل هندي بالشامية، وذلك في سنة ١٢٨٥هـ.

وتعرف هذه المدرسة بين أبناء مكة بالمدرسة الهندية أو بمدرسة الشيخ رحمة الله، كما أنها تُعتبر نقطة تحول في تاريخ التعليم في مكة المكرمة، حيث إنها تمثل ركيزة أساسية في بناء جيل مسلم مثقف ومتعلم يسهم في خدمة الدين والمجتمع.

مالكة المدرسة السيدة «صولت النساء»

في موسم حج سنة ١٢٨٩هـ، قدمت من ضواحي مدينة كلكتاه (Calcutta) ومن ولاية البنغال الغربية

تحديداً، سيدة متدينة لأداء فريضة الحج، شاركها في هذه الرحلة ابنتها وزوج ابنتها السيد نوازش حسين.

وبعد أن أدوا فريضة الحج، تمنت هذه الأسرة الكريمة أن تبني رباطاً أو داراً يعود ريعه ويكون بمثابة صدقة جارية للحرم المكي أو المدني.

وكان صهرها السيد نوازش حسين يحضر كل يوم دروسا للشيخ رحمة الله الكيرانوي بالحرم المكي والتي كانت تقدم بعد صلاة المغرب.

ولأجل تحقيق رغبة الأسرة، استشار السيد نوازش حسين، الشيخ رحمة الله، في بناء رباط أو دار خيري، إلا أن الشيخ أجاب بأنه لا حاجة لتشييد مزيد من الأربطة في مكة المكرمة، مقترحاً عليه أن يشتري أرضا لبناء مدرسة دينية عليها، لحاجة مكة المكرمة الملحة آنذاك إلى مدرسة دينية.

ولما علمت السيدة صولت النساء بهذا الاقتراح، فرحت فرحا شديدا، واستعجلت لشراء أرض بالحرم المكي لكي تبنى عليها مدرسة دينية يتولى الإشراف عليها الشيخ رحمة الله.

وفي صباح الأربعاء الموافق ١٥ شعبان ١٢٩٠هـ وضع الشيخ الكيرانوي بيده حجر الأساس لهذه المؤسسة الدينية التي تعتبر أول مدرسة نظامية في الحجاز.

وأتت هذه المبادرة الخيرية من تلك الأسرة الكريمة التي جاءت من بلاد الهند لتعكس روح الإحسان والعطاء والتضامن الديني والتعاون الخيري.

وبفضل توجيهات الشيخ رحمة الله الكيرانوي وتفانيه في خدمة التعليم الديني، بنيت أول مدرسة نظامية في الحجاز.

وتخليدا لذكرى تلك السيدة الفاضلة على مر العصور سمَّى الشيخ رحمة الله هذه المدرسة بالمدرسة الصولتية.

والقارئ في صفحات السيرة الذاتية للسيدة صولت النساء سوف يدرك ما كانت عليه من صفات دينية أثرت في تكوين شخصيتها.

ويذكر التاريخ أنها ولدت في أسرة متدينة في مدينة كلكتاه (Calcutta)، وأن جذور هذه الأسرة الكريمة تتصل بالشيخ الزاهد وسيلة الله المشهور لزهده وتقواه في الديار البنغالية.

وتعلمت صولت النساء القرآن والعلوم الدينية في مقتبل عمرها.

وعندما كبرت تزوجت من الشيخ المنشي لطافت حسين الذي كان يعد واحدا من أثرياء المنطقة. وقبل وفاته بعام، حوّل الشيخ لطافت حسين جميع ممتلكاته إلى زوجته الوفية.

وهذه الفتاة التي نشأت وتربت في جو إيماني أنفقت معظم أموالها في سبيل الله، وقسمتها بين الفقراء والمساكين، كما ساهمت في إعمار المساجد، وفتح الشوارع تخليدا لذكرى زوجها لطافت حسين رحمه الله. وتظل سيرتها أنموذجا مثاليا للقيم الإيمانية والعطاء السخي في المجتمع الإسلامي.

وعلى مدى أكثر من ٢٥٠ عامًا، لعبت المدرسة الصولتية دورًا هامًّا في تربية العلماء والفقهاء والقضاة والدعاة في العالم الإسلامي.

وتخرج منها نخبة من الطلاب المتميزين الذين أثروا المشهد الديني والفكري في العالم الإسلامي.

كما شغل العديد من هؤلاء الخريجين مناصب مهمة في المجتمعات الإسلامية، بما في ذلك المناصب الدينية والشرعية كالقضاء والإفتاء والتدريس في الجامعات السعودية والمؤسسات التعليمية المختلفة.

واستمر تأثير المدرسة الصولتية عبر العصور رغم تغيُّر الزمن وتطور الظروف الاجتماعية، كما أن تراثها العلمي والفكري لا يزال محل اهتمام ودراسة من قبل العلماء والباحثين في العالم الإسلامي.

شاعران أوروبيان بهرهما نور النبوة

غوته

هوجو

جلال مصطفاوي- الجزائر

تمهيد:

لا بدّ-بدايةً- من تأسيس مرتكز معرفي يحفظ من المزالق ويعصم من القواصم، فقراءة - تتخذ من الشعر الأوروبي متنا لاستنباط مكانة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم - قد تكون محفوفة بالمخاطر، فهم لا يعرفونه حق المعرفة، وهو صلى الله عليه وسلم ليس كأحد من الناس. وليست معرفته صلى الله عليه وسلم متروكة للاجتهاد، بل هي مضبوطة بضوابط الوحي الكريم. وتمثل سورة (الشرح) المرتكز المعرفي الذي نودّ الإشارة إليه، يقول الله تعالى: «أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ».

وهي سورة مكية النزول، فيها تعداد لنعم الله الثلاث على محمد صلى الله عليه وسلم وهي: شرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر، وقد علّق الشيخ الطاهر بن عاشور في تفسيره للنعمة الثالثة بقوله: «جعل ذكره بين الناس بصفات الكمال، وذلك بما نزل من القرآن ثناءً عليه وكرامة. وبإلهام الناس التحدث بما جبله الله عليه من المحامد منذ نشأته».

ولعلّ السورة حين تذكر تلك النعم الثلاث التي خصّ الله بها الرسول صلى الله عليه وسلم، تفرض على المسلمين منهج التعامل مع كل النصوص التي تذكره، فما كان كلاما من الوزر وضع ولم يلتفت إليه، وما كان ذكرا بالمحامد رفع ورُوي، وقد كان هذا شأن الأولين من المسلمين أغفلوا بذيء كلام الشعراء وحرموه،

وأذاعوا المديح النبوي. ولكم نحتاج إلى هذا المنهج في زماننا الحاضر الذي لا يفتأ يُخرج الشانئين الأبترين.

وقد اشتهر أن فلاسفة من مثل: مايكل هارت في كتابه (الخالدون المائة) وتوماس كارليل في كتابه (الأبطال) قد رفعوا ذكر النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

والجدير بالذكر في هذا السياق التنويه بشاعرين بهرهما نور النبوة فمدحا الرسول محمدا صلى الله عليه وسلم كأحسن ما يكون المدح. وهما الشاعر الألماني غوته، والشاعر الفرنسي فكتور هوجو.

أ- غوته:

ليس من السهل تجاوز شاعر ألمانيا يوهان فولفانج غوته (١٧٤٩-١٨٣٢) وهو الذي انفتحت عبقريته على محبة الشرق وأهله، حتى ألف في ذلك ديوانا من الشعر كاملا سماه «الديوان الشرقي للمؤلف الغربي»، ظهر ١٨١٩ وترجمه إلى العربية عبدالرحمن بدوي، فكان نموذجا لأثر الحضارة الإسلامية في النهضة الأوروبية. وقد خصّ الشاعر النبي محمدا صلى الله عليه وسلم بالذكر الحسن في مواضع كثيرة، وذكره بالمحامد الكثيرة.

والذي نلقاه أولا هو أن نظرة غوته لمحمد صلى الله عليه وسلم هي نظرة إلى عظيم خارق للعادة. يقول في الديوان الشرقي: «إن مما يتفق مع غرضنا أن نبدأ بأن نذكر عن هذا الرجل العظيم الخارق للعادة أنه - كما يقول عن نفسه وأكد بكل قوة- نبي وليس شاعرا».

ومنتهى الدلالة بيّن أن لغوته مقياسين، أحدهما للعظمة ويقيس به الشعراء، والثاني للخارقين ويقيس به الأنبياء. وهو يجد محمدا صلى الله عليه وسلم عظيما خارقا ليس كالشعراء، بل هو عنده نبي من الأنبياء.

ومصدر العظمة ليست ذاتية فردية يمتلكها الرجل ويحصل عليها بإرادته، بل هي عند غوته هبة إلهية، والناس بعد ذلك إما أن يحفظوها أو أن يضيعوها، ومن هنا نفهم تفضيل غوته للنبي على الشاعر. يقول: «إذا سعينا في تحديد الفارق بين الشاعر والنبي قلنا إن كليهما يلهمه الله ويرعاه، لكن الشاعر يبدد الهبة التي وهبها له في متع لإحداث إمتاع، ولكي يحصل بإنتاجه على المجد أو في القليل على حياة ميسرة... وعلى العكس النبي لا يستهدف غير غرض محدد، وللوصول إليه يستخدم أبسط الطرق. إنه يعلن مذهبا، من هنا يجب أن يبقى على نبرة واحدة لأن المرء لا يؤمن بالتنوع بل يدركه إدراكا».

ومن باب الإنصاف والاعتراف، فإنّ رأي غوته منسجم مع القرآن الكريم في هذه، ذلك أن العرب وقد أعجزهم صدق محمد صلى الله عليه وسلم، حملوا منطقهم على المستحيل تلبيسًا فاتهموه بالشعر والسحر. وهو اتهام لا يقصد به التحقير، ولكن يراد به رد المعجز الإلهي إلى المألوف الإنساني. فكلام الشعراء إنساني يتبارى فيه المقتدرون، ولكن الوحي إلهي يتنزل على القلب الأمين. ونفى القرآن الصلة بينهما فقال تعالى: «وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ» (يس: ٦٩).

وحين فهم غوته رسالة النبوة، استطاع أن يفهم الفرق ما بين النبوة والشعر، والفرق ما بين القرآن والعهد القديم. والجامع عنده بين الشعر وبين العهد القديم هو الانغماس في الأساليب المبنية على الخرافة والأساطير، وقد وجد ذلك تعليلا منطقيا لانتفاء صفة الشعر عن محمد صلى الله عليه وسلم.

إن من يستمع لهذه الأقوال يجزم أن غوته قد أحبّ محمدا صلى الله عليه وسلم كأحسن ما تكون المحبة، فهو يثبت له العظمة، وينفي عنه الخرافة، ثمّ يواجه كل الثقافة الأوروبية حين يعلن أن كتبها المقدسة إسلامية

المضمون مع اختلاف الأسلوب.

ومن جيد شعر غوته تلك القصيدة التي سماها (ناس ممتازون) وجعل مضمونها على لسان النبي محمد صلى الله عليه وسلم بعد معركة بدر وقد خاطب بها أصحابه، فقال:

ليبك الأعداء موتاهم
فقد جندلوا إلى غير رجعة
أما أنتم فلا تبكوا إخواننا
لأنهم يطوفون وراء هذه الأفلاك
والكواكب السبعة كلها
وأبوابها المعدنية مفتوحة على اتساعها
وأحبابنا المجدون ها هم يقرعون
أبواب الفردوس بجسارة
ويجدون هناك دون توقع
ألوان البهاء التي لم يُسمع بها والتي يمسها معراجي
حين يحملني الفرس العجيب في لحظة
خلال السماوات
وأشجار الحكمة منظومة صنّفا صنفا وقائمة كالسرو
ترفع إلى السماء الزينة الذهبية لتفاحاتها
وأشجار الحياة تنشر ظلا وارفا
ثم يهبُّ نسيم عليل من المشرق
فيأتي إلى هنا بكوكبة بنات السماء
...
وفردوس الرجال أبطال الإيمان
قد جهزت هكذا أحسن تجهيز

وتتردد معاني القصيدة على تمجيد شهداء بدر، ونحب أن نذكر هنا أن رمزية الشهيد تتخذ في القصيدة مثال الإسلام الذي يحيل الكلمات إلى أفعال، فيحمل روحه على حد السيف ليهنأ العالمون بعده بالحياة الكريمة.

وتبدو القصيدة مشبعة بالثقافة الإسلامية الخالصة في بعديها التاريخي والإيماني. فمن حيث التاريخ يعلم الشاعر جيدا أن النبي محمدا صلى الله عليه وسلم خاطب قتلى بدر وقد دفنوا في بئر القليب قائلا: «هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا؟ فإني وجدت ما وعدني ربي حقا». ومن حيث الإيمان ربط الشاعر بين قبض أرواح الشهداء وبين معراج النبي محمد صلى الله عليه وسلم، متحدثا عن الفرس البراق، ثم جعل الفردوس قد جهزت للشهداء وسماهم أبطال الإيمان.

إن هذه القصيدة ليست ضربا من الخيال الذي يهيم به الشعراء ولكنها مشاعر المحبة التي فاضت بها أنفاس الشاعر غوته للرسول صلى الله عليه وسلم، وكم نحن محتاجون إلى إذاعتها في العالم المعاصر تأكيدا على أن عظماء الإنسانية يجلون محمدا صلى الله عليه وسلم ويقدرونه، لمعرفتهم بإنسانيته ورسالته، وإلهاما من الله لهم كي يتحقق أمر رفع الذكر كما سبق في سورة الشرح.

٢- فكتور هوجو:

لم يكن شاعر الألمان غوته وحده من احتفى شعره بالمحبة لمحمد صلى الله عليه وسلم، بل إن شاعر فرنسا الكبير فكتور هوجو (١٨٠٢-١٨٨٥) هو أيضا قد دهش لعظمة النبي الكريم.

والجامع بينهما أنهما استيأسا من كل الفلسفات والسياسات التي صنعت الواقع الأوروبي في القرن التاسع عشر، ولكنهما لم ييأسا من البحث عن الصورة المثالية للإنسان.

وكما أن غوته انصرف إلى الشرق الإسلامي عربيِّه وفارسيِّه، يبحث فيه عن مواطن العظمة الخارقة حتى وجد نفسه بباب النبي محمد صلى الله عليه وسلم فعرفه وأحبه، فكذلك فعل فكتور هوجو الذي أنشأ ديوانا من الشعر خصّه للأفكار الكبرى

في تاريخ الإنسانية. وقد سمّاه «أسطورة القرون» la légende des siècles، ولم يكن يقصد بالأسطورة إلا خوارق الأعمال التي تحققت بأخلاق الحكمة والقوة والرحمة. وحين اتبع فكتور هوجو مسار التاريخ اكتشف أنه ملحمة انتصار الإنسان، ولذلك تخلص من الجاهزية المعرفية الإنجيلية التي كانت تخسف بالإنسان وتجعله ركاما أمام الأوثان والأصنام.

والذي يهمنا هو تلك القصيدة التي يخصّ بها محمّدا صلى الله عليه وسلم وقد سمّاها «العام التاسع من الهجرة» ولكنه يبدأ القصيدة من الأيام الأخيرة للرسول صلى الله عليه وسلم، فيقول:

كأنه حين أحسّ بقرب الأجل
مشى بين الناس فحيّاهم
رأوه يشيخ يوما بعد يوم
ولم يغزه الشيب إلا عشرين شعرة
كانت لحيته لا تزال شديدة السواد
وربما توقف ينظر إلى الإبل
متذكرا أيام الصّبا حين رعاها
كان يبدو كمن رأى جنّة عدن في عصر المحبة
عصر الأزمنة السالفة التي لا تنسى
كان جبينه عاليا والخدّ نورانيّا
والعين منه صافية رقراقة
كأنه نوح الذي يعرف أسرار الطوفان
إن جاءه الناس يختصمون
يصغي إليهم إصغاء الخاشعين
وشفتاه لا تكفان عن التسبيح
كان طاوي البطن يشده بالحجر من الجوع
وبيديه يحلب شاة البيت
يجلس على الأرض ويخيط ثوبه
ويصوم الوصال على الرغم من أنه جاوز سن الشباب
وفي الثالثة والستين أنهكته الحمى
فقرأ القرآن وقال:
هذا فجري الأخير، ولا إله إلا الله
متكئا على علي غدا إلى المسجد
والناس من حوله واجمون:
أيها الناس كل من عليها فان
والله وحده هو الكبير
من كان له عليَّ قصاص فليقتص الآن
...
وفي صباح الغد أمر أبا بكر بالصلاة
وبصوت ضعيف تلا الآيات
واستأذن عليه ملاك الموت
إن الله يحب أن يلقاك
ومات محمد.

ليس هذا إلا مقتطف من القصيدة وهي من الطوال، وواضح أن فكتور هوجو حين أراد أن يتحدث عن محمد صلى الله عليه وسلم اختار لحظة الموت ليجعلها محور القصيدة كلها، فهو قد بدأها بلحظة الشعور بدنو الأجل، وأنهاها باستئذان ملك الموت عليه.

ولنا أن نتساءل لماذا هذا الاختيار؟

لعل الاحتمالات كثيرة،

- فربما ساعة الموت هي محك العظمة، وقد اختارها هوجو عن قصد ليبين تلك الفضائل الكبرى التي وجدها في الرسول صلى الله عليه وسلم، يخرج إلى الناس فيلتفون من حوله، ويقرأ القرآن، ثم يعلن أن الكبرياء لله وحده، ويطلب من قومه أن يقتصوا منه وهو قائدهم.

- وربما أرادها ختاما لحياة عظيم تواضع للناس فرفعوه، فهم لم يلتفوا من حوله ويحزنوا لمرضه لو لم

يكـن على تلك السـجايا التي سـجلها هوجو، كان دائم التفكـر في الخلـق، يجلس علـى الأرض ويخيط الثوب، ويحلـب الشـاة، ويحكم بين النـاس حين يختصمون، ثم يبيت طاوي البطن.

– وربمـا تعلّـق هوجو بشـخص محمد صلـى الله عليه وسلم وحزن أن يموت من هو مثله فيترك الأرض قاعا بلقعـا، وهـو الذي اشـتمل على صفات الكمـال كما لم يشـتمل عليها إنسـان، وهو الذي أعطي أسـرار الكون كما أعطي نوح عليه السلام أسرار الطوفان.

والقصيدة بعد هذا تتنازعها عاطفتان: عاطفة إعجاب بصفات محمد صلى الله عليه وسلم الخلقية والخلقية، وقد حرص الشاعر أن يبرز صورة الكمال التي يعرفها عن محمد صلى الله عليه وسلم، وهي صفات جسمية فقـد كان أحسـن النـاس وجها، وصفـات خلقية جعلته وهـو النبـي القائـد لقومـه يسـألهم أن يقتصـوا منـه، وصفـات عقليـة فهو دائـم التفكر في الخلـق وفي الإبل خصوصا، وكان الشـاعر يسـتحضر القرآن، حيث قال تعالى: «أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ» (الغاشية: ١٧).

وعاطفة حزن على موت محمد صلى الله عليه وسلم، وكأنـي بفكتـور هوجـو كان هـو أحـد الباكـين. إن دقة الوصـف للحظـات النـزع والحشـرجة وخـروج النبـي متكئـا علـى علـيّ ثم أمـره أبا بكـر أن يصلـي بالناس، علامـة على هذا الحزن الكبير. وليس أفضل من هذه البلاغـة الأسـلوبية التـي جعلـت هوجو يتصـور ملاك المـوت يسـتأذن في الدخـول فيؤذن له. ثـم ليس أفضل من الإيجاز في قوله: «ومات محمد» تعبيرا عن عاطفة الحـزن هـذه. تحولت القصيدة مـن كلمات إلى عبرات على الإنسانية حين تفقد محمدا صلى الله عليه وسلم.

خاتمة:

نخلص من هذه القراءة لشاعرين أوروبيين من شعراء القـرن التاسـع عشـر، وقد عرفـا النبـي محمدا صلى الله عليه وسـلم وأحبـاه، إلى مجموعة من الخلاصات الواجبة:

أ– إن الفطرة الإنسانية متى خلصت من شوائب الهوى ونزعـات الخصومـة لا تملك إلا أن تحب محمدا صلى الله عليـه وسـلم حبًّـا جمًّا، بما هو أهـل له. فإن بحث النـاس عـن التواضع وجدوه فيه جبلـة، وإن بحثوا عن الحكمـة وجدوهـا عنـده هبـة إلهيـة، وإن بحثـوا عـن الحصافة والعفة وجدوها فيه سجية لا تتخلف.

ب– إن رفـع ذكـر محمـد صلـى الله عليـه وسـلم هبـة إلهية له، تثبتها سـورة الشـرح كما سـبق بيانه، ولذلك فلن تجد المسلمين وحدهم من خصوه بالمدائح النبوية، بل غيرهم كثير من أمم نصرانية عربا كانوا أم عجما. وسـنة الله التـي قضاها لن تجد لها تبديلا. وسـيكون مـن كل أمم الدنيـا مـن يفعـل ذلك ويمـدح محمدًا لأن الله كذلك أراد.

ج– إن أوروبـا التـي أنجبـت هذيـن الشـاعرين أنجبت غيرهمـا من أولـي النهى، ولذلك وجب أن نعرفهم وأن نعليهـم في العالمـين مثالا يحتـذى حتى يصير الحق هو الغالب، وقد غفلنا عن بعض هذا ونسـيناه، حتى صار الحكيم منهم إذا أقبل إلينا صددنا عنه، والسفيه منهم إذا رفع عقيرته بالسوء ذكرناه فشهَّرناه.

د– دعـك من الذين سـفهوا أحلامهم حـين أرادوا الوزر بمحمـد صلـى الله عليـه وسـلم، فمـا هم إلا الشـانئون الأبترون، وواجب أن نلتفت إلى أهل الفضل منهم –وهم كثر–.

أهمية الإسلام والعربية في نسج العلاقات التضامنية بين الدول الإفريقية

بقلم: الزبير مهداد ـ المغرب

إن نجاح العلاقات الإقليمية يتأسس على المشترك الثقافي والديني بالدرجة الأولى، فالعلاقة بين الشعوب الإسلامية والأفارقة علاقة ثقافية عريقة قوية، ازدادت قوة ومتانة مع الإسلام، كما ازدادت هذه العلاقة وثوقا بسبب اغتناء اللغات المحلية بالألفاظ العربية التي استعارتها، وبالمصطلحات الدينية الجديدة، وأصبح الحرف العربي أداة لكتابة اللغات المحلية، فانتقلت هذه اللغات من الشفاهية إلى الكتابة والتدوين، كما أقبل الأفارقة على تعلم اللغة العربية ونشرها، والقراءة والتأليف بها، وأصبحت لغة تدوين وتواصل ديبلوماسي، فأضحت الثقافة العربية الإسلامية فاعلة مهمة في بناء العلاقات السياسية والاقتصادية بين هذه الدول، تغلبت على الحواجز الجغرافية الفاصلة بين المنطقتين.

أهمية التعليم الإسلامي في ترسيخ التضامن:

علق الحكام الأفارقة أهمية كبيرة على التعليم. كثفوا خططهم لبناء المدارس والمساجد في جميع أنحاء بلدانهم، وشجعوا السعي وراء المعرفة في جميع المجالات. وأرسلوا البعثات التعليمية إلى فاس والأزهر والقيروان للدراسة في جوامعها الشهيرة. وفتح الاهتمام بالتعليم للشعوب الإفريقية أبواب التقدم، وجعل العواصم الإفريقية مراكز للتعلم والثقافة في غرب إفريقيا. كما استقدم الحكام العلماء العرب رغبة في تحقيق نهضة ثقافية علمية وتكوين نخبة محلية مثقفة، وجعل بلده نقطة إشعاع ثقافي في غرب إفريقيا.

ومع انتشار الإسلام كثرت المؤسسات التعليمية، فظهرت المحضرة في موريتانيا، فكانت المدرسة الأصيلة التي انتشر إشعاعها بفضل طلبتها. ثم امتدت إلى السنغال، فقد لاحظ أحد الرحالة الأوروبيين سنة ١٥٠٦م أن ملك وأعيان إمارة «جلوف» كانوا مسلمين، وكان لديهم شيوخ بيض من أئمة الإسلام ودعاته، وكانوا يعلمون أولادهم القراءة والكتابة (لوح، التعليم العام ومناهجه السنغال نموذجا (ورقة قدمت خلال الندوة العلمية: التعليم وتطوره في غرب إفريقيا، نيامي ٢٧-٢٨ أبريل ٢٠٠٩).

أما في نيجيريا فإن التعليم الإسلامي بانتشار المدارس القرآنية والمعاهد الدينية في مدابو، ومنها انتقل إلى كانو بفضل زعيم الونغيريين الشيخ عبدالرحمن زيتي، ثم انتشر بعد ذلك في سائر البلد بفضل المشاركة الفعالة للفلانيين. كانت المدارس القرآنية تعلم القراءة والكتابة مع القرآن، ويضيفون معرفة فروض الدين الإسلامي من عقائد وعبادات، ثم يندمج من شاء منهم في الحياة التجارية أو الصناعية، أو يلتحق من شاء منهم بمدارس العلوم لمواصلة تعلمه، والتعمق في الدراسات الدينية واللغوية (مهدي رزق الله، حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غربي إفريقيا قبل الاستعمار وآثارها الحضارية). أما غانا، فقد شهدت بدورها تأسيس عدد من المراكز التعليمية في شمالها صَلْغا، كِيتِ كِرَائِي، يَنْدِ، بَنْدُغْ، يَجِ، بكو، وا، تَمَالِي وجنوبها كماسي، كيب كُوست تكراد، كوفوريدُوا، أكرا.

لعبت هذه المراكز القليلة الشهرة دورًا هامًا في الدعوة والتعليم وكانت تسمى «مدارس القرآن» أو «مدارس اللوح» نسبة إلى اللوح التعليمي الذي كان يستعمله المتعلمون. واستمر وجود هذه المراكز التعليمية إلى الربع الأخير من القرن العشرين. وكانت تقام في حجرات خاصة، وأحيانا في الهواء الطلق بجوار منازل المعلمين.

يذكر الفتاش أنه كانت بتنبكت وحدها «مائة وخمسون أو ثمانون مكتبا» لتعليم الصبيان القرآن (مهدي، مرجع سابق). وكانت تسمى «مدارس معلمي الصبيان»، أو «محضرة» كما عند السعدي الذي ذكر أن الفقيه أبا القاسم التواتي إمام المسجد الكبير بتنبكت ابتنى محضرًا في قبالة المسجد لاصقا بها، وفيها يقرئ الأطفال، وبعد وفاته، خلفه في المهمة تلميذه السيد منصور الفزاني، وبعده المقرئ الفقيه إبراهيم الزلفي (السعدي، تاريخ السودان، باريز ١٩٨١، المدرسة الباريزية لتدريس الألسنة الشرقية).

كانت المؤسسات التعليمية تلبي الطلب الاجتماعي على العلماء والأئمة، من خلال تحفيظ القرآن والتعريف بالآداب الإسلامية، وتعليم القراءة والكتابة ومبادئ الحساب. وبذلك تغذي المجتمع باحتياجاته من الأئمة

والفقهاء والقادة الدينيين، والمثقفين القادرين على إدارة الشأن العام، والاشتغال في دواوين الحكومة، وكانت اللغة العربية هي اللغة التي كانت تدون بالكتابة، مقابل اللغات المحلية التي كانت شفاهية في معظمها.

كان المنهج في أغلب المراكز العلمية والحلقات الدراسية يتضمن المواد المدرسة في المراكز العلمية في الغرب الإسلامي، كالحديث وأصول الفقه، والنحو والأدب والبلاغة والمنطق والتصوف، تتم دراسة هذه العلوم من خلال الكتب والمدونات الشهيرة المتداولة في هذه البلدان، ومراعاة للخصوصيات الثقافية المحلية كانت تضاف إلى تلك المدونات بعض المؤلفات التي صنفها العلماء الأفارقة من المغرب الكبير وغرب إفريقيا، منها المقدمة الككَيَّة لـ «مور قُجَّه كُمْبَة جوب» الككي السنغالي، الاحمرار لمختار بن بونه الشنقيطي. وكتاب التصريف لأبي أديح الموريتاني، والقصيدة الدالية لأبي الحسن اليوسي، والقصيدة الشمقمقية لأحمد بن الونان، ثم سراج الطالب للمساري، ثم مبيّن الإشكال، للقاضي مجختي كله السنغالي.

آثار التعليم الإسلامي في الحياة الإفريقية:

كان لنظام التعليم التقليدي الإسلامي في إفريقيا آثار طيبة في الحياة الإفريقية، تشمل المجال الديني، والتعليمي، والإداري، والسياسي أيضا:

نشر الإسلام السني:

بفضل الجهود المباركة للدعاة المسلمين، ولمعلمي الكتاتيب انتشر الإسلام انتشارا واسعا في إفريقيا، وما زالت المساجد والأربطة والزوايا، تشهد بانتشار الإسلام في هذه الأصقاع. فقد كان الفرد ينشأ على حفظ القرآن، ومعرفة الدين، وتلقي مبادئ الإيمان والتوحيد وفق عقائد أهل السنة، وبالاستعانة بكتبهم.

نشر اللغة والثقافة العربيتين:

تلازم تعليم القرآن والدين بتعليم اللغة العربية، فهي أهم وسيلة لمعرفة الدين، وأداء مناسكه، والتوسع في دراسته، والتواصل مع علمائه، ومواصلة التكوين لمن رغب في تعميق معرفته بالدين.

نشر الحرف العربي:

بانتشار التعليم الإسلامي أصبحت اللغة العربية لغة الثقافة والتعليم لدى معظم سكان إفريقيا، ثم أخذت بعض الشعوب الإفريقية تكتب لغاتها بالحروف العربية، وكانت اللغات السواحلية والهوسا واليوروبا والفولاني والصومالية أبرز اللغات إنتاجا أدبيا، ومن اللغات الإفريقية التي كتبت بالحروف العربية: الأفريكانية والعربية التشادية والبالانت والبجا والنوبية والقمر والماندنكا والكانوري والصوصو والطوارقية والسرر واللوغندا والمدغشقرية والولوف.

تشجيع الدراسات العربية الإفريقية:

ساعدت جلة من العوامل على انتشار اللغة العربية في نيجيريا، وأصبح لكل فن من فنون اللغة والأدب رواده من العلماء النيجيريين، الذين تتلمذ البعض منهم على مشاهير العرب، كالإمام جلال الدين السيوطي وغيره، بل وألف بعضهم بالعربية كتبًا في الدين كالتفسير والفقه والعقيدة، كما كتبوا في مختلف فنون الأدب العربي. وأنشأوا لتعليم اللغة العربية في نيجيريا عدة مراكز.

ولا يغيب عن البال أن نواة حركة الدراسات العربية

والإسلامية في غانا غرست في منتصف القرن ١٥ الميلادي، أو أقدم على ما يبدو، بمجيء الإسلام إلى شمال غانا. وتمركزت الدراسات العربية في شمال غانا زهاء قرن أو أكثر، قبل أن تتسرب إلى جنوبها.

ربط إفريقيا بالبلاد العربية والإسلامية:

ارتبطت البلدان الإفريقية بالبلاد العربية والإسلامية، فكان المسلمون يرسلون أولادهم إلى موريتانيا للدراسة، ولما كثر المتخرجون في مجالس تلك البلاد، أسسوا بدورهم المدارس العربية التي أصبحت تستقبل طلبة العلم، حتى انتشرت المراكز العلمية في كل مكان، بل وقامت جامعات تواءمت تحت كيانها جميع الأعراق.

كان السنغاليون يرحلون إلى الحجاز لأداء مناسك الحج، أو يتجهون شمالا إلى «شنقيط» و «المغرب» لأجل التعلم، وجد في السنغال علماء تضلعوا في الثقافة العربية وتعمقوا في دراستها (لوح، ص٨).

وهذا الارتباط أسهم في تقوية العلاقات التجارية والثقافية مع البلاد العربية والإسلامية، فكانت قوافل الإبل تمخر على الدوام المسافات الطويلة لنقل المسافرين وحمل البضاعة، وتبليغ طلاب العلم إلى مدارسهم ومراكزهم العلمية.

أسباب الانحسار والتفكك:

تضافرت عدة أسباب نتج عنها انحسار العربية

والدعوة الإسلامية في إفريقيا، بعضها داخلي يعود إلى ظروف هذه الدول وتخلف طرق تعليم العربية، وبعضها خارجي مرتبط بالتوسع الاستعماري الأوروبي.

ومن تلك الأسباب تراجع العناية بالعربية، ففي نيجيريا انفصل تعليم القرآن عن تعليم العربية، ما أدى إلى نشوء قطيعة شديدة لتعليم اللغة العربية في مدارس القرآن.

وكذلك تخلف أساليب التدريس إذ كانت أساليب الدراسة في الكتاتيب تعنى بإكساب المتعلم مفردات اللغة العربية دون تنمية المهارات التواصلية بها، فالدراسة اللغوية عندهم تركز على جانب القراءة والكتابة فقط، دون الاتصال، ما أدى إلى عجز كثير من المتعلمين عن التعبير، والنطق الصحيح لبعض أصوات اللغة العربية التي لا توجد في اللغات المحلية.

وقلة الاهتمام بعلوم القرآن والاهتمام بدلا عن ذلك بعلوم اللغة والأدب والعروض، بسبب غياب الوعي بفضل القرآن وعلومه على اللغة والأدب العربيين.

ومن الأسباب أيضًا ضعف مهارة المدرسين، ففي غانا مثلا لم يُشترط في مدرسي الكتاتيب النبوغ والمهارة في اللغة العربية، ويؤكد ذلك انتشار الكتاتيب في كلّ مكان، فكل من يجيد قراءة القرآن ويتقن كتابته يصلح لأن يكون معلماً في الكتاتيب، سواءً فهم معاني الآيات القرآنية أو لا، ومسؤولية المعلمين في الكتاتيب تنحصر على مهمتين: التهجي، وقراءة القرآن الكريم قراءة سليمة قدر الإمكان.

وكان لانفتاح شهية أوروبا للتعرف على إفريقيا والوصول إليها، والاستحواذ على خيراتها أثر مباشر. فبدأ عصر الاستعمار من خلال عمليات الاستكشاف البرتغالية والإسبانية لسواحل إفريقيا، ابتداء من القرن التاسع الهجري الخامس عشر ميلادي.

إن إفريقيا كانت في معظمها قارة تدين بالإسلام، وتحتضن اللغة العربية، وبسبب التدخل الاستعماري تأثر الوضع الحضاري للإسلام والعربية.

عمد الاستعمار خلال سيطرته على المنطقة، إلى تنفيذ مخططه لنشر نظام تعليمي يرسخ نفوذه، وينشر لغته وعقيدته. هذا النظام الوافد زاحم بقوة النظام التعليمي التقليدي وضيق عليه، وأصبحت اليوم اللغة الفرنسية هي اللغة الرسمية لكثير من دول المنطقة. وأصبح الحرف اللاتيني هو خط كتابة اللغات الإفريقية، وجهود إحلال الحرف اللاتيني محل الحرف العربي بدأت منذ حلول الطلائع الأولى للحركات التنصيرية، منذ القرن التاسع عشر، وانتهاء بقرارات مؤتمر باماكو عام ١٩٦٦. وبذلك قضى الاستعمار الأوروبي وحركة التنصير على عناصر المشترك الثقافي والديني الذي يشد دول إفريقيا بالعالمين العربي والإسلامي، وحطما جسور التواصل بين شعوبها، ليسهل عليهما التحكم فيها.

وعلى الرغم من هذا التراجع، ما زال الإسلام واللغة العربية واسعي الانتشار في القارة، وأضحى الإقبال عليهما واسعًا من النخب الإفريقية والعامة. والأمل معقود على المنظمات الأهلية والحكومات العربية لدعم نشر الإسلام والعربية، وتقوية علاقات الدول الإفريقية بالعالم العربي والإسلامي، وإقامة جسور التعاون والتفاهم بين شعوب البلدان، وتخصيص منح دراسية في الجامعات العربية للطلبة الأفارقة، ودعم المكتبات العامة بالإصدارات العربية.

تكريم المرأة في الهدي النبوي

بقلم: ميمونة بلخير - جدة

كرم الإسلام المرأة، وجعل لها شأنًا عظيمًا حُرمت منه معاشر النساء في الجاهلية، حيث كان المجتمع الجاهلي ينظر للمرأة نظرةً دونية، فلا يقيمون لها وزنًا، ويعتبرونها عِبئًا ثقيلًا وعارًا عليهم، فكان أحدهم يصيبه الغم إذا بُشر بالأنثى، ويشعر بالخزي من بني جنسه، فيتوارى منهم من سوء ما بُشر به. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «والله إن كنا في الجاهلية ما نعدُّ للنساء أمرًا حتى أنزل الله فيهن ما أنزل وقسَم لهن ما قسم». (صحيح البخاري/٤٩١٣) (صحيح مسلم/ ١٤٧٩)

وفي المقابل، فإن المتأمل في هدي نبينا محمد ﷺ، يجده وافرًا بالتوجيهات التي تعظم شأن المرأة وتؤكد على مكانتها وحقوقها. فقد أوصى ﷺ في مواطن كثيرة بالرفق بالمرأة، ومن ذلك: وصيته ﷺ للرجال بالنساء خيرًا، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّه وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِي جَارَهُ. وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا؛ فَإِنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا). (صحيح البخاري/٥١٨٥) (صحيح مسلم/١٤٦٨)

قال الإمام النووي رحمه الله: «في هذا الحديث ملاطفة النساء والإحسان إليهن، والصبر على عوج أخلاقهن، واحتمال ضعف عقولهن، وكراهة طلاقهن بلا سبب، وأنه لا يطمع باستقامتها، والله أعلم» (صحيح مسلم بشرح النووي).

وللمرأة في حياة رسولنا محمد ﷺ مواقفُ عظيمة، أكدت على أهميتها وكونها الأساس في قيام المجتمعات ورفعتها.

فأم المؤمنين خديجة رضي الله عنها قدوة النساء الأولى، وهي السبَّاقة إلى نصرة الرسول ﷺ، حيث

إنها أول من أُخبر بنبوته ﷺ، وأول من آمن به من النساء، وأول من نصره قولاً وعملاً.

فعندما نُبِّئ النبي ﷺ وهو في غار حراء، رجع إلى زوجته خديجة رضي الله عنها خائفًا يرجف فؤاده، فلما حكى لها ما وقع له، ناصرته بقولها فقالت: «كلا، والله ما يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق».

ونصرته أيضًا عملياً، بأن أتت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل، فأخبره الرسول ﷺ بما حصل، فطمأنه وأكد له حقيقة نبوته وأن الله ناصره. وكذلك ناصرته بمالها، وتحملت معه المشاق في سبيل نصرة دعوته.

ومن الأمثلة التي تدل أيضًا على عظمة شأن المرأة في الإسلام، ما حدث مع خولة بنت ثعلبة، التي كانت سيدة كبيرة في العمر، واختلفت مع زوجها وجاءت تشتكيه إلى الرسول عليه الصلاة والسلام، فسمع الله قولها من فوق سبع سماوات، وأوحى إلى رسوله بالحل لمشكلتها، وجعله قرآنًا يُتلى إلى قيام الساعة، قال تعالى: (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ). (المجادلة/١)

ومن نصرة الرسول ﷺ للمرأة، ومن حرصه على حمايتها وصيانتها، أنه كان يغضب إذا انتهكت كرامتها، فيدافع عنها ويُبعد عنها من يؤذيها، ومثال ذلك:

قدمت امرأة من العرب إلى سوق بني قينقاع، وجلست إلى صائغ، فجعل اليهود يريدونها على كشف وجهها فأبت، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها دون أن تشعر، فلما قامت انكشفت فصرخت، فوثب رجل من المسلمين وقتل الصائغ، فاجتمع اليهود على المسلم فقتلوه، فغضب الرسول ﷺ غضبًا شديدًا، وأخرجهم من المدينة وأمرهم ألا يجاوروه بها.

ومن تكريمه ﷺ للمرأة، أنه كان يسمع رأيها فيما يخص المسلمين، ويحترمه ويأخذ به إن رآه صائبًا، ومثال ذلك:

لما فرغ الرسول ﷺ من كتابة صحيفة صلح الحديبية، أمر المسلمين بالنحر والحلق للتحلل من إحرامهم، وكرر ذلك ثلاثًا، ولكن لم يقم منهم أحد، فقام فدخل على أم سلمة فأخبرها بما لقي من الناس، فأشارت إليه بقولها: اخرج، ثم لا تكلم أحدًا كلمة حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك، فقام وفعل ذلك، فلما رأى الناس ذلك قاموا وفعلوا مثل فعله.

والأمثلة السابقة ما هي إلا نزرٌ يسير من أمثلة تكريمه ﷺ للمرأة، وهذا التعامل الفريد من نوعه لا تحظى به امرأة إلا في هدي نبينا محمد ﷺ.

وقد بذلت رابطة العالم الإسلامي جهودها لتعزيز هدي النبي ﷺ في تكريم المرأة والتأكيد عليه، حيث أصدرت وثيقة مكة المكرمة عام ١٤٤٠هـ بإقرار وإجماع تاريخي لأكثر من ١٢٠٠عالم ومفتٍ من ١٣٩ دولة يمثلون المكونات الإسلامية، ألتي نصت في أحد مبادئها على حق المرأة في التمكين المشروع في كل الشؤون الدينية، والسياسية، والاجتماعية، والعلمية. كما منعت الاستطالة على حقها بتهميش دورها، أو التقليل من شأنها، أو التقليل من فرصها، أو التمييز في استحقاقها، أو امتهان كرامتها.

وكذلك أطلقت رابطة العالم الإسلامي «برامج مكافحة العنف ضد المرأة والطفل والاتجار بالبشر»، وهي إحدى أهم المبادرات الدولية التي تهدف إلى التعامل الميداني مع هذه الممارسات المجرّمة دولياً من خلال توفير المساعدة القانونية للضحايا، وتقديم الدعم الإغاثي لهم، واستقطاب الدعم العالمي الكبير لمساندتهم، وإعادة تأهيلهم وتأمين فرص عمل كريمة لهم.

قلعة الوَجه في تبوك:

تاريخها وأهميتها في رحلة الحج قديمًا

بقلم: د. محمد أحمد عبد الرحمن عنب - مصر

اهتم أولو الأمر في جميع الفترات التاريخية بدروب الحج باعتبارها شرايين الاتصال التي تربط الأقاليم الإسلامية المختلفة بالحرمين الشريفين، وأقاموا على طول هذه الدروب محطات تستريح بها قوافل الحجيج، ويتزوّدون منها بالماء والمؤن المختلفة. وشُيّدت بهذه المحطات القلاع والحصون لحماية الحجاج وسلامتهم، وتُعتبر قلعة الوجه المشهورة بقلعة الزُّريب واحدةً من أشهر وأجمل سلاسل القلاع الواقعة على درب الحاج المصري، وواحدة من أهم الآثار المتبقية في الجزء الشمالي الغربي من المملكة العربية السعودية.

الموقع:

تتميّز قلعة الوجه بموقعها الاستراتيجي المُتميّز في

محافظة الوجه جنوب مدينة تبوك على هضبة مرتفعة تُشرف على البحر الأحمر، والوجه اسم كان يُطلق على وادٍ من أودية تهامة يَنزله الحجّاج القادمون بطريق الساحل من مصر أو الشام، ولذا تُعتبر الوجه إحدى محطات الحج الرئيسية على درب الحاج المصري، واختير منزلاً لاستراحة الحاج المصري لكثرة أشجاره وبساتينه وكثرة آباره وعذوبة مياهها.

التسمية والنشأة:

جاء سبب تسمية هذه القلعة بالوجه نسبة إلى موقعها في مدينة الوَجه، والوجه في اللغة يعني وجه الشيء؛ أي مستقبله، والجهة التي تُقصد، أو المواجهة، وعليه يمكن إرجاع سبب التسمية نسبة لموقعها الذي يستقبل أرض الحرمين الشريفين؛ في منتصف الطريق بين القاهرة والمدينة المنورة. أو ربما لأنها تكون مواجهةً لركب الحاج المصري، وهي تُعرف الآن بالزُّرَيب؛ لوقوعها في وادي الزُّرَيب الذي يصب في البحر الأحمر، وتقع قلعة الوجه في هذا الوادي. وكانت العامة تُطلق على الوجه اسم (الوش) بالشين وهي لغة بعض أهل مصر الدارجة؛ حيث كان سكان الوجه خليطاً من الناس ويغلب عليهم الطابع المصري.

المنشئ وتاريخ الإنشاء:

تذكر بعض المصادر التاريخية أنّ تاريخ بناء القلعة عام ١٠٢٦هـ/١٦١٧م وهذا التاريخ يوافق فترة حكم السلطان العثماني أحمد الثالث (١١١٥-١١٤٣هـ/١٧٠٣-١٧٣٠م)، وذلك بناء على النقش الذي يعلو المدخل الرئيسي للقلعة.

غير أنّ الروايات والنصوص التاريخية للرحالة العرب والمستشرقين الأجانب الذين زاروا منطقة الوجه قبل عام١٠٢٦هـ/١٦١٧م أشارت إلى وجود هذه القلعة قبل

سبب التسمية نسبة لموقعها الذي يستقبل أرض الحرمين الشريفين؛ في منتصف الطريق بين القاهرة والمدينة المنورة

هذا التاريخ، ويرجّح أنْ يكون تاريخ إنشاء القلعة عام ٩٦٨هـ/١٦٥٠م في عهد السلطان سليمان القانوني الذي كان له أعمال حربية كبيرة في درب الحج المصري منها؛ قلعة العريش والمويلح ٩٨٦هـ/١٥٦٠م، كما أنّ قلعة الوجه مشيّدة بالحجر الجيري والرملي المصقول والغشيم في أحجام وأشكال متفاوتة على غرار الأسلوب المستخدم بقلعة المويلح، كما يُرجّح أن يكون سليمان القانوني أمر بإنشاء هذه القلعة؛ لتكون مركزًا لخدمة الحجاج المصريين بعد خراب قلعة الأزنم من جهة، ولحماية الساحل الشرقي للبحر الأحمر نظرًا لازدياد نشاط البرتغاليين فيه من جهة أخرى.

الوصف المعماري للقلعة:

تتميّز قلعة الوجه بطرازها المعماري المُميّز، وهي قلعة محكمة البناء وتتصف بالقوة والمتانة، مسقطها مستطيل الشكل، ويوجد في كل ركن من أركانها برج يأخذ شكل ثلاثة أرباع دائرة، ويتكون كل برج من طابقين؛ طابق سفلي مدخله من فناء القلعة أو حجراته، وطابق علوي مدخله من ممر السور، وتقع مدخل القلعة الرئيسي بالضلع الغربي، وهو يفضي إلى دهليز يؤدي بدوره داخل القلعة، ويتوسط القلعة الفناء المكشوف والذي تُحيطه الحجرات والوحدات المعمارية المختلفة من جميع الجهات؛ فيشغل الضلع الجنوبي ثلاث حجرات كبيرة يُحتمل أنّها أعدت لحفظ وتخزين ودائع الحجاج، ويوجد على الجزء الشرقي للضلع نفسه مصلى صغير وحجرة أخرى ذات مساحة كبيرة قد تكون مجلسًا

لحاكم القلعة.

أمّا الضلع الشرقي للفناء فبه وحدتان سكنيتان؛ إحداهما صغيرة مكونة من حجرتين، والأخرى كبيرة مكونة من أربع حجرات متهدمة، ويليها من جهة الشمال بعض الملحقات الخدمية عبارة عن ثلاثة مراحيض وفرن، أما الجهة الشمالية للفناء فبها بئر القلعة ومسجدها الرئيسي بالإضافة لسبع حجرات صغيرة متجاورة لكل منها باب مستقل، وتتكون القلعة من طابق واحد ويصعد إلى السطح بسلم، ويحرس القلعة والطرق المؤدية إليها جند يقيمون بها، ولهم رئيس تقيّد هو وجنده بنظام المكوث بها سنة كاملة ويتم بعدها تغييرهم بفرقة أخرى، مهمتهم حراسة درب الحج، وحفظ أزواد الحجاج الفائضة لحين عودتهم في مخازن داخل القلعة، وتميزت القلعة بعنصر المئذنة وهي من العناصر المُميّزة التي تميّزت بها قلعة الوجه، وهي مبنيةٌ بمداميك من الحجر المنحوت داخل القلعة، وترتكز على الجدار الغربي، وتتكون من قاعدةٍ مربعة الشكل يعلوها بدن مثمن، وكانت المئذنة تؤدي وظيفة الأذان بجانب استخدامها برجًا لمراقبة القلعة والدفاع عنها، حيث زودت بالمزاغل بجانب فتحات الرمي الموزعة على الجدران والأبراج.

ومن أهم ملحقات القلعة؛ البئر ويقع بالركن الشمالي الشرقي للقلعة بين المسجد ومدخل البرج الشمالي الشرقي، وهو عبارة عن بئر دائري الشكل مشيد بمداميك من الحجر المنحوت ويبلغ عمقه حوالي٣٧م، ويُزود هذا البئر بركة القلعة الخارجية بالماء، والذي تقع بدورها ملاصقة لسور الضلع الشمالي من الخارج، وقد بُنيت بالطوب الأحمر المحروق، وكُسيت من الداخل والخارج بطبقة من الملاط وتتوزع في بعض أركان البركة الداخلية سلالم تتكون من درجتين وترتفع البركة عن

مستوى الأرض بمقدار ٢,٥م، وتنقسم إلى ثلاثة أحواض أقدمها وأكبرها الحوض الأوسط وهو من بناء أمير الحاج المصري رضوان بك الفقاري، والحوضان الآخران من بناء أمير الحاج المصري غيطاس بك الفقاري سنة ١٠٦٨هـ/١٦٥٧م.

القلعة في كتابات الرحالة العرب والأجانب:

حظيت قلعة الوجه باهتمام الرحالة والمؤرخين العرب والمستشرقين الأوروبيين الذين أشادوا بجودة وحسن بنائها وعمارتها، فيذكرها المؤرخ المكي الشهير محمد بن عبد الله بن محمد الحسيني الشهير المدني المشهور بمحمد كِبريت أثناء رحلته للحج عام ١٠٣٩هـ/١٦٢٩م الوجه وقلعتها بقوله: «والوجه هذا شعب فيه قلعة لطيفة فيها بئر»، كما يذكرها عبد الغني بن إسماعيل النابلسي في رحلته الشهيرة المسماة (الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز) عام ١١٠٥هـ/١٦٩٣م ما نصه «وصلنا قبيل الظهر بنحو ساعتين إلى قلعة الوجه، وهي قلعة عامرة بين جبال بها أربعة أبراج وفيها منارة ولها بركة كبيرة تمتلىء أيام الحاج»، كما وصف النابلسي أحواض مياه القلعة ورسمها، كما ذكرها الرحالة والمؤرخ السويسري جون لويس بركهارت **Johann Ludwig Burckhardt** في رحلاته وذكر أنها قلعة كبيرة في طريق الحجيج وبها مخزون كبير، وذكرها المستشرق الألماني يوليوس أويتنج **Julius Euting**، والذي وصلها عام١٨٨٤م وأثنى عليها وعلى بنائها فقال؛ لاحت أمامنا القلعة الواقعة على درب الحج، وبُنيت بالحجر الجيري المتوفر بالقرب من موقع القلعة القريب من ساحل البحر، وأنها مبنى أنيق له جدران عالية تلتقي في أبراج دائرية فخمة.

الأهمية التاريخية والحضارية للقلعة:

لقلعة الوجه أهميةٌ حضارية وتاريخية كبيرة، فهي تقف شاهدةً على جانبٍ مهم من الحضارة الإسلامية، معبرةً عن رعاية الحكام المسلمين للحج ولطرقه ودروبه. وتميّزت بموقعها الاستراتيجي عند ملتقى عدة شعب، مِما كان له أكبر الأثر في دورها الدفاعي الكبير لحماية الحجاج وضمن أمنهم وسلامتهم، فكانت بمثابة خط دفاع متقدم لتأمين الأماكن المقدسة وحماية الساحل الشرقي للبحر الأحمر من هجمات البرتغاليين.

وقد كانت القلعة سببًا رئيسيًا في تطور عمران منطقة الوجه بأكملها؛ فقد أصبحت القلعة مع مرور الوقت مركزًا للحكم والإدارة في المنطقة ويُشرف طاقمها الإداري والعسكري على تنفيذ القوانين لإقرار الأمن والنظام بين سكان مدينة الوجه، وكان ناظر القلعة والملقب بلقب المحافظ هو المسؤول عن تطبيق القوانين المدنية بها منذ عام ١٣٠٦هـ/١٨٨٨م، كما أن القلعة كانت وحدة معمارية متكاملة ومتعددة الأغراض والوظائف، وكان بها واعظ وإمام.

وأخيرًا فإن قلعة الوجه المعروفة بقلعة الزُّرَيب واحدةٌ من الشواهد المعمارية الرائعة التي خلّفتها لنا الحضارة الإسلامية، والتي لا تزال تقف شامخةً شاهدةً على عظمة الإسلام وحبه للعمران والبناء والسلام، ورعايته لمصالح المسلمين وتوفير وسائل الراحة والأمان لهم.

تميزت القلعة بعنصر المئذنة وهي من العناصر المُميّزة التي تميّزت بها قلعة الوجه

لقلعة الوجه أهميةٌ حضارية وتاريخية كبيرة، فهي تقف شاهدةً على جانبٍ مهم من الحضارة الإسلامية

تجربة في تعلم العربية

كتب - عبد الله باموسى

أرسل إلينا الطالب محمد سهيل من الهند رسالة طويلة يحكي فيها تجربته في تعلم اللغة العربية، نقتبس منها التالي:

يقول: «كنت في الصف الأول عندما بدأت رحلتي الصعبة في تعلم العربية. وجدت التعرف المباشر إلى العربيين (كتبها هكذا) عبر الإنترنت مفيدًا، فبدأت تجربات (يقصد تجارب) معهم في الإنترنت. كنت أبحث عنهم، وأراسلهم.

أتذكر أول شخص تحدثت إليه اسمه إبراهيم من مصر، شعرت ببعض المشقة في البداية. ما درسناه في الكتب وجدته مختلفا. هم يفهمون ما أقول لكني لا أفقه شيئًا من كلامهم. أحدهم قال لي ضاحكا: أنت كلامك زي (مثل) كلام الكتب!».

وأضاف «تعرّفت على صديق من اليمن، قال لي يوما: ممكن أن أتصل بك أخي بالفيديو كي أشوفك. فما فهمت كلمة «أشوف» ! فتشت الكلمة في المعجم، ما رأيت شيئا عنها. أخيرًا، هو بيَّن لي معناها: أي أن أرى وجهك، ففكرت أن العربية صعبة جداً، وبعيدة عنّي».

فهمت أن معظم أصدقائي هم من عامّة الناس، ولا يمكن أن أحقق رجائي بمثل هذه الاتصالات فقط. فكّرت في كيف أتعرف على أدباء وأصحاب ثقافة. بدأت أبحث عن أسماء المجلات الدولية والجرائد في (قوقل)، فحصلت على بعضها.

حاولت أولاً مع من لديهم شارات «توب فانز»، ظناً أنهم هم الأدباء، واكتشفت أن شارات العلامة الزرقاء ونحوها ليست دلالة على العلم والثقافة، بعضهم كان شديد القسوة معي حتى إنهم حظروني.

وجاءت خطوة مهمة شجعتني وحفزتني. حاولت محادثة بالفيديو مع مجلة الرابطة، وكنت أرسلت لهم خاطرة كتبتها عن تجنب العنصرية في منافسات كأس العالم.

فوجئت بتلك الخاطرة منشورة في مجلة الرابطة، ثم وصلت إليَّ من مدير تحريرها رسالة تحثني على الاستمرار وبذل جهد أكبر في الكتابة. عندما تسلمت تلك الرسالة قفزت من الفرح والسرور، واتصلت بأمّي عبر الجوال، وهي في البيت وأنا في الكلية، فسمعتها تهتف: «الحمد لله.. رفعك الله يا بنيّ».

لقد يسّر الله تعالى لنا سبل التواصل عبر هذه الوسائل، وعلينا معشر الشباب أن نوجهها الوجهة الصحيحة، وألا نقتل أوقاتنا في الألعاب والتواصل غير الحميد.

رابطة العالم الإسلامي

MUSLIM WORLD LEAGUE